

بَحْثٌ بِعَنْوَانٍ:

## **الصائبة المندائية** **دراسة تحليلية لأصولها ومعتقداتها الدينية**

إعداد :

**دكتور / عبد البديع محمد عبد الله محمد سالم**

**قسم العقيدة والفلسفة**

**كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية**



## المقدمة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، أما بعد : فإن الله تعالى قص علينا في كتابه الكريم ، الكثير من أخبار الأمم السابقة ، وعرفنا جوانب متعددة من حياتهم ومعتقداتهم ..

والصائبة من تلك الأمم التي ذكرها القرآن الكريم ؛ وهذا — في حد ذاته — يوجب علينا — نحن الباحثين المسلمين — البحث في نشأتها وأصل معتقداتها وتطورها ، ونحو ذلك ؛ كي تتمكن من الحكم عليهم ، والتعامل معهم ، خاصة وأن الغالبية العظمى من معتقديها تعيش بين ظهرائنا وتسمون باسمائنا .. فعلى أي أساس يمكن التعامل مع طائفة من البشر تشاركنا الأرض والتاريخ والمهم الوطني ، ولا نعرف عنها إلا قزراً يسيراً جداً ، مشوباً بتقيدات وإشكالات كبيرة ؟

لذلك ، أمل أن يكون هذا البحث محاولة جادة للكشف عن بعض الغموض الذي يحيط بهذه اللمعة المعقدة ، والإجابة عن كثير من الأسئلة المحيرة التي تثيرها.

فللندائية — كديانة قديمة جداً — من حقها أن نوضع تحت مجاهر الباحثين العرب والمسلمين لأنها رغم أهميتها في فهم تطور الفكر في منطقتنا العربية — في حقبة زمنية معينة — لم تحظ باهتمام كبير من قبل مراكز البحث في الدول العربية والإسلامية . ولعل ذلك راجع إلى صعوبة اللغة المندائية التي كُتبت بها كتبها المقدسة ، وانطواء المندائيين على أنفسهم واصطناعهم "لغة"، فضلاً عن احتكار تعاليم الدين المندائي وحصرها في عدد محدود من رجالهم .

وبالرغم من غموضها ، واستغراق الكثير من معتقديها وطقوسها على الفهم ؛ نظراً لشعور الرمزية فيها ، والتشويش المتعمد عليها من قبل المؤرخين القدامى ، وجو الأساطير الذي حيكت فيه كتبهم المقدسة ، والسرية الشديدة في نقل التعاليم الدينية بين الأبناء ، والميل إلى الغزلة واصطناع السحابة مع أتباع الديانات الأخرى — ربما خوفاً من الحساسيات الدينية التي قد تثيرها الممارسة العلنية لطقوس الديانة ، خاصة وأن فيها وجوهاً كثيرة للشبه مع ديانات أخرى .

إلا أن البحث في المسألة المندائية ، يُغري الباحثين اليوم أكثر مما كان يُغريهم بالأمس ؛ لأن جانباً كبيراً من التراث المندائي تم تناوله بشكل علمي ، بعد تحجيصه وتخليصه من الخلط الذي تسبب فيه كتاب المقالات عن الملل والنحل . كما أن أهم كتاب مقدس للمندائية ، وهو كتاب "كنسزا ربا" أو "سيدره ربا" ، قد تُمَّت ترجمته إلى عدة لغات ، وأضحى معروفاً

لدى مراكز البحث العلمي في العالم ؛ وذلك - بلا شك - يُتيح قدرًا أكبر من الموضوعية عند دراسة عقائد هذه الطائفة .

والحق أن الكشف عن تراث طائفة دينية كالمندائية يتسم بالغموض وتحيط به الأساطير من كل جانب ، ليس وحده الذي يُعري بدراستها وتحقيق القول فيها ، وإنما يُضاف إليه أيضاً : أن المندائية قَدِّمَتْ في كتبها وأساطيرها المَقُولَةَ إلينا ، خطاباً لا يخلو من إشارات أو دلالات فلسفية مصبوغة بطابع "الغنوصية Gnosis" ؛ التي تجمع بين الدين والفلسفة في نسقٍ معرفيٍّ متكاملٍ .

ومن هنا ، تأتي أهمية دراسة هذا الموضوع ؛ لبيان حقيقة المندائية وأصولها ، وكشف النقاب عن معتقديها ، والإجابة عن سؤال مفاده : هل المندائية هم طائفة الصابئة التي ذكرها القرآن الكريم ، أم غيرهم ؟

فالإجابة عن هذا السؤال - بشكلٍ موضوعيٍّ مُتَّصِفٍ - مهمةٌ للغاية ؛ لأنه على أساسها تتحدد نظرتنا إليهم ، وتعاملنا معهم ، كأهل كتابٍ أو كوثنيين .

لذلك ، اقتضت طبيعة الدراسة ، استخدام منهجٍ يجمع بين التحليل والنقد للمعلومات المتوفرة عن المندائية ؛ بغية الوصول إلى نتيجة ما ، نطمئن إليها .

هذا ، وقد جاءت الدراسة في مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة :

\_ المبحث الأول ، بعنوان : اختلاف المقالات حول حقيقة الصابئة المندائية وأصولها .

\_ المبحث الثاني ، بعنوان : المعتقدات الدينية للصابئة المندائية .

\_ المبحث الثالث ، بعنوان : الطقوس الدينية للصابئة المندائية .

ثم الخاتمة ، وتتضمن : تقييم الطائفة في ضوء الفكر الإسلامي .

تمهيد:

من انهم - قبل الدخول في جزئيات هذا الموضوع - التبيُّه إلى الله ، ليس الغرض من دراسة معتقدات مُكوِّن بشريٍّ معين كاللندائية ، إحياءً لنعرات طائفية أو حساسيات دينية وعرقية ، أو إشغال أنفسنا بالحديث عن أقليات دينية ليس لها تأثير كبير على المستوى الفكري ، وربما نعدُّ من الأقليات "المهمَّشة" التي لا وزن لها الآن في العلاقات الدولية..

وإنما الغرض ، هو الوقوف على الحقائق العلمية لديانة تُعتبر عند أصحابها أقدم ديانة رفعت شعار "الوحيد" .

بمعنى أنهم يؤمنون بالله الواحد الأزلي ، من غير ابتداء ولا انتهاء ، في تصوُّرٍ للذات الإلهية يتفق مع العقيدة الإسلامية تمام الاتفاق .

وهذا التشابه ، لا يعني أنهما شيء واحد ، لأن الإسلام لا يُقارَن بغيره من الملل والنحل الأخرى ؛ فهو ليس مجرد "دين" من الأديان ، يختار الإنسان واحداً منها ويُكافئ على اختياره بالجنة في الآخرة ، وإنما هو "الدين" الذي ارتضاه الله تعالى لعباده ، ولا يقبلُ عنهم غيره ؛ كما قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾<sup>(١)</sup>.

فالبحث في موضوع كهذا ، أو في أصول ومعتقدات طائفة ما - على وجه العموم - إنما هو بحث في طبيعة التفكير البشري ومناهجه ، في زمنٍ معين وفي أزمانٍ متتالية ، قد يقودنا بعد فحصها وتحصيلها إلى الجزم بأن هذه المعتقدات أصلاً واحداً تفرَّعت عنه وتطوّرت ، وصارت لا تُمتُّ إلى الأصل الأولِ بصلّة .

أمر آخر ، وهو أن البحث في تاريخ الأديان قد يقودنا أيضاً إلى معرفة الأدوار التاريخية التي ظهر فيها بعض الأنبياء الكرام ، وطُرق استدلالهم على وجود الله تعالى .. فمثلاً ، يمكن افتراض أن "إبراهيم الخليل" - عليه السلام - الذي ذكره القرآن الكريم وذكر طريقة استدلاله

(١) سورة المائدة : من الآية ٣ .

ومُحاججته ، وُجِدَ في حقبة زمنية كان الدين فيها متأثراً بالفلسفة ؛ لأنه ~~العلم~~ استخدم في نقض عقائد قومه الباطلة ، أسلوباً فلسفياً قائماً على الإقناع العقلي ، وهكذا .

فلا تخلو دراسة عقائد ديالمة ما وتتبع أصولها الأولى ، من فوائد علمية ؛ فهي تُسهم في بناء صرح علم المقابلة بين الأديان ، أو ما يُسمى بعلم "مقارنة الأديان" .

فالحق أن تاريخ الأديان لا يرسم لنا خطأ واحداً فاصلاً بينها ؛ بحيث يجعل أحدها مخالفاً للآخر الذي سبقه تمام المخالفة .

بمعنى آخر: أن العقائد لم تحدث في حياة الناس طفرة واحدة دون تمهيد سابق ، بل كل دين يُعتبر تمهيداً لما بعده ، والذي يليه يكون مُحفظاً لبعض خصائص السابق عليه .

وعلى هذا الأساس ، فإن البحث في دين "الصابئة" قد يقودنا إلى النظر والتأمل في منشأ عقيدة "التوحيد" ، والأدوار التي مرت بها ، والطرق المختلفة التي توصل بها البشر إلى الاعتقاد بوجود قوة واحدة مهيمنة على الكون كله ، ومُدبرة لشؤونهم . وتلك ميزة أخرى لم نقصدها في هذا البحث ، وقد تأتي عرضاً ، لكنها تُدلل على أهمية دراسة موضوع كهذا ، يتناول معتقدات دين من الأديان .

## المبحث الأول :

### اختلاف المقالات حول حقيقة الصابئة المندائية وأصولها

على الرغم من صعوبة التوصل بصورة تاريخية ، إلى العصور الساقطة أو الأزمنة الأولى التي تفرعت فيها الأديان ، ونجّزأت فيها المذاهب . إلّا أنّ تحرير المقال حول حقيقة الصابئة — كديانة قديمة جداً — يحتاج قلبه إلى إعطاء فكرة عامة عن منشأ ذلك الانقسام ، استناداً إلى المعطيات التاريخية المتاحة ؛ وهي قليلة للغاية ، وبها الكثير من الإشكالات والتعقيدات..

فيرى بعض الباحثين<sup>(١)</sup>، أنّ الإنسان ترقى في عقائده كما ترقى في العلوم والصناعات ؛ بمعنى أنّ عقائده الأولى كانت في طور البداوة ، تتساوى مع سذاجة تفكيره ، كما تتساوى مع بساطة علومه وصناعاته.. ومع هذا ، فالإنسان في جاهليته الأولى لم يهمل أمر الدين ؛ لأنه لا يستطيع أن يعيش بلا دين<sup>(٢)</sup> .

لكن الحقيقة الكبرى للدين لا تتجلى له في عصر واحد ، أو بأسلوب واحد في الدعوة إليها ، وإنما تبدئ صورته الكاملة عندما يكون مستعداً لفهمها والإحاطة بها .

فالإنسان في بادئ أمره ، نظر إلى الكون المحيط به من كلّ جانب ؛ فأخذته الدهشة ، وبهرته مظاهر الطبيعة وعجائبها ، ورأى نفسه أقلّ من أن يردّ عاديّاتها ؛ فأكرها ، ورأها أحقّ بخضوعه وانقياده ، فعبها . ومن هنا نشأت فكرة العبادة لمظاهر الكون ، وهكذا استمرّ الناس يؤلّهون كلّ ما يخشون بطشه ، أو يجهلون كنهه أو حقيقته !

(١) راجع: عباس محمود العقاد : الله — كتاب في نشأة العقيدة الإلهية ص ١٣ ، ط ٨ دار المعارف بالقاهرة . — وإن كنت أرى أن الدين مكتمل منذ آدم عليه السلام ؛ فهو أول من دعا إلى التوحيد على الأرض . فالله تعالى خلق العباد كلّهم موحدين ؛ كما جاء في الحديث القدسي : " ..وإني خلقت عبادي حنفاء كلّهم . وإلهم أتتهم الشياطين فاجتاتهم عن دينهم. " [ جزء من حديث قدسي ، رواه الإمام مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي ، تحت رقم ٢٨٦٥ ، واليزار في كتابه: البحر الزخار ، المعروف بمسند اليزار تأليف : أحمد بن عمرو اليزار : ٤١٩ ، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله ، نشر مكتبة العلوم والحكم — المدينة المنورة ، ط ١ ، سنة ١٤١٥هـ ] .

(٢) راجع الشيخ علي الطنطاوي : تعريف عام بدين الإسلام ص ٧ ، ط ٣ سنة ١٩٩٥ م ، دار البشر للثقافة والعلوم ، طنطا ، مصر .

وهذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على تأصل العقيدة الدينية في ضمير الإنسان ووجدانه ، منذ وجد على سطح الأرض .

وليس مهماً البحث عن الباعث إلى الاعتقاد الديني ؛ فقد خاض فيه علماء المقابلة بين الأديان ، وافترضوا نظريات كثيرة ، عللوا بها انجذاب بني الإنسان إلى الدين<sup>(١)</sup> .

وإنما المهم الآن هو الإشارة إلى أن قسماً كبيراً من البشر ، ما زال يحتفظ بأصول اعتقاداته الأولى ، وصفات تفكيره القديم ، وإن أدخل على معتقداته بعض التعاليم الحديثة من هنا وهناك ، لكنها — في غالب أحوالها — تظل في طورها الأول من التفكير البشري .

وهذا ليس بمستغرب ؛ فإن بعض الأقول والشعوب لديها خاصية الاحتفاظ بالتقاليد والعادات ، أو بالأراء والمعتقدات ؛ وهذا ينطبق تماماً على "الصابئة المندائية" ، كما سيتضح .

### حقيقة الصابئة :

ورد ذكر "الصابئة" في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم :

— الأول : في سورة البقرة ؛ قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

— الثاني : في سورة المائدة ؛ قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع: العقاد : ص ١٥ وما بعدها من كتاب "الله" .

(٢) آية رقم ٦٢ .

(٣) آية رقم ٦٩ .



— الثالث : في سورة الحج ؛ قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِينَ  
وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
شَهِيدٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أن الصابنة من الديانات المهمة ، ذات الأثر الممتد ؛ لأن القرآن الكريم لا يعبأ  
بذكر العقائد الهامشية التي لا وزن لها ولا تأثير في حياة أصحابها ، ولا تصلح أصلاً لأن يتشكل  
منها نظام حياة متكامل !

فلا شك أن جزيرة العرب وما جاورها من الممالك الأخرى ، كانت تَعْبُجُ بوثنيات كثيرة،  
لكن القرآن الكريم لم يُشِرْ إليها ، بل غَضَّ الطرفَ عنها ؛ لأنها بمقياس ما تتركه من أثرٍ مُمتدٍّ ،  
تُعَدُّ من الديانات "الموقته" — إن جاز التعبير — التي يُنْشِئُهَا وَضْعُ بَيْنِي مُعَيَّنٍ ، يتدخل فيه العاملُ  
الاقتصادي أكثر مما يتدخل الإقناع العقلي أو الاطمئنان النفسي . لذلك سرعان ما اضمح وجودها،  
وانعدم أثرها ، بزوال الأسباب الداعية إليها .

أما العقائد المتأصلة في نفوس أصحابها ، فقد اهتم القرآن الكريم بذكرها ؛ إِمَّا للتأكيد  
على وحدانية الأصل وأن منطلقاتها لا تخالف الإسلام ، أو للتدليل على فساد عقيدتها بأسلوب لا  
يُمكنُ معارضته ، أو للتحذير من خطرِها على عقيدة "التوحيد" وكيفية مواجهتها ، وعلى أي  
أساس يمكن التعايش معها .. لذلك ، ذكر طوائف الدهرية والمجوس واليهود والنصارى والصابنة —  
وكلها عقائد ذات أثرٍ مُمتدٍّ ، وليست موقته — إلى جوار ذكره للحفوية أو الإسلام ، منذ دعا إليه  
آدم أبو البشر — ﷺ — إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ .

وكلمة "الصابنة" ، مأخوذة من : صَبَأٌ يَصْبَأُ صَبّاً ؛ بمعنى : خَرَجَ من دينٍ إلى دينٍ آخر ؛  
كما تصبأ النجوم : أي تخرج من مطالعها<sup>(٢)</sup> — هذا إذا اعتمدنا الحمزة من أصل الكلمة .

(١) آية رقم ١٧ .

(٢) راجع لسان العرب لابن منظور ٧ : ٢٦٢ . ط ١ سنة ١٩٩٦ م دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .

أما إذا قرئتْ بغير الهمزة ، فإن أصل الكلمة يفيدُ معاني : المثل أو العشق أو الاشتياق ؛ كما في قوله تعالى على لسان يوسف الصديق عليه السلام : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> . وكما نقول : صبا الرجل إذا عثيق ، والصَّبُ تفضُّحه عيونه : أي العاشق .

وللكلمة دلالات لغوية أخرى ؛ فعالم اللغة الألماني "جسنوس" يرى أنها مشتقة من كلمة "صباؤون" العبرية ، والتي تعني : "جند السماء" . بينما يذهب المستشرق الألماني "تيودور نولدكه" إلى أنها مشتقة من كلمة "صَبَّ" العربية ، والتي تعني : أسال أو أهرق <sup>(٢)</sup> .

وبقليل من التأمل ، نلاحظ أن هذه الدلالات اللغوية - على تفرُّقها - تنظم في خيطٍ واحدٍ ؛ ذلك أن المفارقَ لدينه لا يتركه إلا إذا كان لديه مَثَلٌ شديدٌ للدين الجديد . ولعل الكلمة العبرية التي تعني "جند السماء" ، تُشير إلى عبادة الكواكب ، أو إلى جهة الشمال حيث النجم القطبي ؛ كما سنرى عند الحديث عن صلاتهم . فضلاً عن أن كلمة "صَبَّ" إنما تُعطي معنى "التعميد" أو الاغتسال بالماء ؛ كرمزٍ للتطهر من دنس الشرك السابق ، وإعلانٍ بالدخول في الدين الجديد !

### الأدوار التاريخية للديانة الصابئية :

يرى كثيرٌ من علماء الأديان أن تاريخ الاعتقاد مرَّ بأدوارٍ تاريخية <sup>(٣)</sup> ، ابتدأت بالتعدد Polytheism ، وانتهت إلى الوحداية Monotheism .

فإذا كانت "الديانة الطبيعية" - أو عبادة مظاهر الطبيعة - هي التي كانت سائدة في الأغصُر الأولى - كما يرى علماء المقابلة بين الأديان - فلا شك في أن أربابها التي تتمثل فيها مشاهد الطبيعة وقواها ، ستكون هي الشمس والقمر وسائر أفلاك السماء ، فضلاً عن المطر والبرق والرعد والبراكين والزلازل وسائر الظواهر الطبيعية .

وإذا اعتدنا أن ديانة الصابئة هي عبادة الكواكب والنجوم ، فلاشك في أنها - بهذا المقياس - أقدم ديانة عرفها الإنسان في التاريخ . وهذا هو الدور الأول لها ؛ وهو عبارة عن : اعتقاد بتعدد

<sup>(١)</sup> آية رقم ٣٣ من سورة يوسف .

<sup>(٢)</sup> راجع حمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين ٥ : ٤٢٦ . ط ٣ سنة ١٩٧١م دار للفرقة بيروت ، وراجع أيضاً : موسوعة كنوز المعرفة ١ : ١٥٨ ، إشراف : د. إميل يعقوب . ط ١ سنة ١٩٩٨ م .

<sup>(٣)</sup> هذه نظرية لا نزيدُها على إطلاقها ، لكننا مضطرون لمسيرة علماء المقابلة بين الأديان فيها ؛ لأنها ربما تفسر المراحل التي أعقبت مرحلة التوحيد الأولى - التي ابتدأها آدم عليه السلام - تفسيراً منطقياً مقبولاً .

القوى المُدبِّرة لهذا الكون ، مُتمثلة في الأجرام السماوية والظواهر الطبيعية ، وإن اعتقدوا بقوة خفية متحكممة في هذه الظواهر .

والمعلوم أن التطور في الاعتقادات أمرٌ مُحقق ، إلا أننا لا يمكننا الوقوف على حلقاته بشكلٍ كاملٍ مهما توافرت المراجع العلمية ؛ لأنه لا يسير بخطى ثابتة ، ولا يأمن الطفرات . وهذا ينطبق على كلِّ نَحْلَةٍ .

والصابئة لم تلجأ لبناء الهياكل ، ولم تُسمَّها بأسماء الكواكب ، ولم تُقم في وسطها التماثيل إلا بعد مرور عصورٍ طويلة ، بلغ خلالها كثيرٌ من حكمائهم مستوىً معيناً من النضج الفكري والحضاري ؛ فأوحوا إلى العوامِ بذلك . وهذا المعنى أشار إليه "المسعودي" ت ٣٤٥ هـ ؛ بقوله : "لقد أقاموا على عبادة الله والكواكب بُرْهَةً من الزمانِ وحِجَّةً من الأعصار ، حتى تَبَهَّهم بعضُ حُكَمَائِهِمْ إلى أنْ الأفلاك والكواكب أقربُ الأجسامِ المرئية إلى الله تعالى ، وأنها حيَّةٌ ناطقةٌ ، وأن الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله ، وأن كلَّ ما يحدث في هذا العالم إنما هو على قدرٍ ما تجري الكواكب على أمر الله ؛ فعظَّموها وقربوا لها القربان لتتفعَّهم . فمكثوا على ذلك دهرًا ، فلما رأوا الكواكب تختفي بالنهار وفي بعضِ أوقات الليل لما يعرض في الجو من السَّوَابِ ، أمرهم بعضُ حكمائهم أن يجعلوا لها أصناماً وتماثيل بعددِ الكواكب الكبار ، وكلَّ صِنْفٍ منهم يُعظَّم كوكباً منها ، ويُقرب لها نوعاً من القربانِ خلافَ ما للآخر . على أنهم إذا عظموا ما صوروا من الأصنام ، تحرَّكت لهم الأجسامُ العلوية السبعة بكلِّ ما يريدون ؛ فبنوا لكلِّ صنمٍ بيتاً وهيكلًا مُنفرداً ، وسَمَّوا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب" <sup>(١)</sup> . وهنا هو الدور الثاني لديانة الصابئة ؛ دورُ بناءِ الهياكل لممارسة الطقوس .

أمَّا الدور الثالث للصابئة ، فقد بدأ باستقرار الديانة ودخولها ضمن الكتب والأسفار ، واعتناء الكهنة بدراستها وتدريسها ؛ فكان فيها مجالٌ واسعٌ للنظر والبحث ، ولل فلسفة والتعليل شأن كلِّ ديانة تستقر وتستمر . ولعلَّ انقطاع الرهبان إلى الدراسة والعبادة ، كان له شأنٌ في إدخال بعض الآراء الفلسفية - وإن لم تكن في بادئ الأمر علميةً بحتة - على تعاليم الدين .

(١) المسعودي: مروج الذهب ٢ : ٣٥ ، ط سنة ١٩٣٨ م ، القاهرة .

وكسائر الديانات ، لم تنح الصابئة من التأثير بالفلسفة اليونانية بعدما نضجت واستقلت عن الدين ؛ حيث أدخل الصابئون كثيراً من الآراء الفلسفية اليونانية في تعاليمهم الدينية ، في نهاية هذا الدور الذي دُعي بعد ذلك "بدور الفلسفة"<sup>(١)</sup> .

أما دور الصابئة الأخير ، فقد بدأ قبيل المسيح - ~~التي~~ - حيث كان يُسيطر على أتباع الديانات آنذاك فكرة "المجدد" ؛ فلما جاء المسيح أُعْتُبِرَ مُجَدِّداً ، واليهود ينتظرون إلى الآن "الماشيح" المجدد . أما الصابئة فقد مالوا إلى الاعتقاد بأن "يوحنا المعمدان" - ~~التي~~ - هو المجدد المنتظر ؛ فاعتقدوا به ، وعظموه .. ولا يزال المندائيون يعتقدون به كني حاتم لهم ؛ وهذا ما أكدته "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة" ، عند تعريفها للصابئة المندائية ؛ بقولها : "إنها الطائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم ؛ والتي تعتبر يحيى - ~~التي~~ - نبياً لها"<sup>(٢)</sup> .

### الصابئة المندائية :

أطلقَ هذا الاسم - قبل الإسلام - على فئات واسعة من سكان وادي الرافدين ، ذات أصول "آرامية" ، وتحدثت اللغة السريانية الشرقية . وهي تسمية قديمة قد تعود إلى أيام المسيحية الأولى وما قبلها ، كما ذكرنا .

وكلمة "مندائي" آرامية الأصل ، تتكون من مقطعين :

- الأول: مندا ؛ ويعني العلم أو المعرفة .

- الثاني: نئي ، ويعني النسبة .

ويكون معنى الكلمة : صاحب الدراية الإلهية والعلم والمعرفة<sup>(٣)</sup> .

و"المندي" : هو بيت العبادة للطائفة ، وتُسَمَّى النصوص المندائية أيضاً باسم "مشكنا" أو

"مشكنه" ؛ وله قواعد خاصة أو مواصفات معينة في البناء من حيث المكان ، والهئية ، والاتجاه ونحو ذلك<sup>(٤)</sup> .

(١) الصابئة قديماً وحديثاً ص ١٢ وما بعدها . وقد أشار للؤلأ إلى أن دراسة تاريخ بعض الأديان ، يمكننا من معرفة الأدوار التي ظهر فيها بعض الأنبياء ؛ فإبراهيم الخليل - عليه السلام - الذي جاء ذكره في القرآن الكريم وطرق استدلاله ومحاكمته ، تبين بوضوح أنه جاء في زمن الفلسفة الدينية ؛ أي في الدور الثالث للديانة الصابئة .

(٢) الموسوعة الميسرة ص ٣١٧ ، بإشراف : د. مانع الجهنني ، ط ٢ الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض .

(٣) راجع: سليم برنجي: الصابئة المندائيون ص ٥٠ ، ط ١ سنة ١٩٩٧ م ، دار الكونز الأدبية ، بيروت .

(٤) راجع السمات الواجبة لبيت العبادة عند الصابئة ، في كتاب "اليدي دراور" : الصابئون المندائيون ص ١٩٩ وما بعدها ، ترجمة: نعيم بدوي وغضبان الرومي ، ط ٢ سنة ١٩٨٧ م ، مطبعة الديوان ، بغداد .

## أنبياء المندائية :

المندائية — كما هو ملاحظ — ديانة مستقلة قائمة بذاتها ، لها فلسفة دينية أو لاهوتية خاصة ، ولها أنبياء ومعلمون — أو آباء — وكتب مقدسة ، وبالتالي تنفرد بطقوس معينة يتم بموجبها أداء كافة المراسيم الروحية . يقول الترميزة<sup>(١)</sup> "يوحنا النشمي" — أحد علماء الدين المندائيين : "إن الصابئة المندائيين يؤمنون أشد الإيمان بأنبيائهم ومعلميهم وآبائهم الأوائل ، الذين نبتت على أيديهم — في مختلف عصورهم — الديانة المندائية . فقد كان لهم الأثر الكبير على تعاليم الديانة الصابئية المندائية ومبادئها وفلسفتها ، وحتى طقوسها ومراسيمها الدينية".

## ثم يذكر الآباء والمعلمين الأوائل للديانة ؛ وهم :

— النبي والأب والرجل الأول آدم — أبو البشر — والذي يحتفظ المندائيون بصحفه السماوية ، كما يقول .

— النبي شيتل — أو شيت — بن آدم الرجل الأول "الفرس الطيب" ، والذي أفدى والدّه ؛ فكانت روحه الأقدس من بين البشر .

— النبي سام بن نوح "المتعبد الخاشع" ، والذي تدحر الكتب الدينية المندائية المقدسة بصحفه وقصصه وتراثيه .

— النبي يهيا يوهنا أو يحيى بن زكريا أو يوحنا المعدان "الحبيب المرتفع" ، ويحتفظ المندائيون بكتابه الذي خطّت قسماً منه أنامله المقدسة ، وزاد عليه تلاميذه من بعده ، وهو معلّم الحق الأخير الذي يؤمن به الصابئة المندائيون<sup>(٢)</sup> .

## المندائية ويحيى بن زكريا :

قبل ظهور المسيح — عليه السلام — كان في فلسطين عند نهر الأردن والبحر الميت ، طوائف دينية عديدة ومتباينة في دعواتها وممارساتها الدينية ، ورغم أن الكثير منها تدين بالولاء للشرعة

(١) الترميزة : وظيفة كهنوتية أو درجة دينية تماثل درجة "قس" في الدين المسيحي .

(٢) من محاضرة للترميزة يوحنا النشمي ، ألقاها في ٢٠٠٥/٧/١٦ بمناسبة العيد الكبير للطائفة الصابئة المندائيين ، وذلك بتنظيم من قبل جمعية النادي الثقافي المندائي الاسترالي في سيدني . ونشرها مجلة اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر ، تحت عنوان "تراث ومعتقدات" التي تصدر في كندا .

اليهودية ، أو تَمَسَّكُ باليهودية كدين<sup>(١)</sup> ، إلا أنها اجتمعت على السَّخَطِ من المؤسسة الدينية الرسمية - أو الثيوقراطية اليهودية المتمثلة في ملك اليهود "هيرود" - التي كانت بيدها مقاليد السُّلْطَةِ آنذاك.

هذه الطوائف استهوتها فكرة الخلاص المنتظر على يد رسول موعود ؛ وليس في ذلك عجب : "فالرجاء في الخير أصل من أصول الديانة ، والأمل في الإصلاح مادة من مواد الحياة الإنسانية ؛ يَبْنِيها الخالق في ضمير خَلْقِهِ ، ويفتح لهم بها سبيل الاجتهاد في طلب الكمال والخلاص من العيوب"<sup>(٢)</sup>.

وسَطَ هذه الطوائف وفي ظل ذلك الأمل في الخلاص الذي بدا يلوح في الأفق ، ظهرت شخصية تاريخية مؤثرة جداً ، وهي شخصية "يحيى بن زكريا" - كما عُرفَ في العربية - أو "يوحنا المعمدان" - كما عُرفَ في الأدبيات المسيحية نقلاً عن الآرامية - أو "يهانا" أو "يهيا يهانا" - كما وردَ في التراث المندائي<sup>(٣)</sup>.

وقد اقترن اسم "يحيى" بالتمعيد Baptism ، الذي كان يُجرى في نهر الأردن لليهود وغير اليهود . وكلمة التعميد مأخوذة من الكلمة اليونانية Baptein ؛ وتعني الانغماس أو الارتماس في الماء . ويُقابَلُها في الآرامية : كلمة "مَصْبُوتَا أو مَصْبُوتَا" ؛ والتي تؤدي نفس المعنى ، وأصبحت تُطلق على طقسٍ دينيٍّ يجري مع الانغماس في الماء .

وممارسة الطقوس الدينية في الماء ، كانت أمراً شائعاً في عديد من الأديان ، لاسيما في الفترة التي سبقت ظهور المسيحية وما بعدها . ولا يزال هذا الطقس شائعاً إلى اليوم عند بعض الأقوام<sup>(٤)</sup> .

هذا، ولا يُعرف على وجه الدقة ما إذا كان "يوحنا المعمدان" قد كوّن طائفةً دينيةً معينةً ، أو أنه بَشَّرَ بالصابئية - كما يعتقد المندائيون - بل المقطوع به أنه كان أحد أنبياء بني إسرائيل

(١) أشهر هذه الطوائف خمسة : الصدوقيون ، والفريسيون ، والسامريون ، والأسيونيون ، والجيليون - أتباع يهوذا بن إليزقيا .

(٢) عباس محمود العقاد : حياة المسيح ص ٣٢ ، ط دار نقضة مصر بالفعالة - ضمن مشروع مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٢ م .

(٣) راجع عزيز سباهي : أصول الصابئة ومعتقداتها الدينية ص ١١٣ ، ط سنة ١٩٩٦ م ، دار المدى ، بيروت .

(٤) راجع السابق ص ١١٧ .

الناهضين لرفع الظلم عن المستضعفين ، والداعين إلى الفضائل والنخلص من ذكس الخطايا والشرك.. ولا علاقة له ولا لتلاميذ المندائيين من بعيد أو قريب<sup>(١)</sup>.

فالمندائية لا يُعرف لها مؤسس ، ولا ترتبط بشخصية تاريخية معينة ، بل هي ديانة موعلة في القدم انصبت على تأمل الكون ونشأة الإنسان وهبوط الروح فيه ومستقرها بعد موته ، وخالق الكون وموقعه ونحو ذلك . والمندائيون أنفسهم لم يدعوا بأن ديانتهم قد بدأت مع "يحيى" - المسيح - بل هو بالنسبة لهم "خاتم أنبيائهم" ، والمخلص Saviour ؛ الذي يرسم لهم طريق الخلاص والنقا .

### بين المندائية والحرانية :

ذكر "ابن النديم" في الفهرست<sup>(٢)</sup> ، رواية لأحد النصارى يُسمى "أبو يوسف أشع القطيعي" - ذكرها في كتاب آله وسمائه - الكشف عن مذاهب الحرنانيين المعروفين في عصرنا بالصابئة - وملخص روايته : أن الخليفة المأمون ت ٣١٨هـ ، أثناء اجتيازه لدير "مصر" في طريقه لغزو الروم ، لقيه أهلها وفيهم قوم يلبسون "الأقية" وشعورهم طويلة بوفر كوفر "قرة" - حد سينان بن ثابت - فأنكرهم ، وسألهم عن كونهم من أهل النعمة ؟ فأجابوا بأنهم من الحرانية - أو الحرانية<sup>(٣)</sup> - فسألهم عما إذا كان لهم كتاب وني أم لا ؟ فلما تلعثوا في الرد ، قال لهم : أنتم وثنيون وأماكم أحد أمرين : إما أن تتجولوا أحد الأديان التي ذكرها الله تعالى في كتابه ، أو أن تقتلوا عن آخركم !؟ وأرجأ التنفيذ لحين عودته .

فلما وجدوا أنفسهم في مأزق لا مفر منه ، غيروا ملابسهم وحلقوا شعورهم وتركوا لبس الأقية ، واختار الكثير منهم الدخول في الإسلام والمسيحية ، بينما بقيت شريحة قليلة اضطرت إلى الاحتيال ؛ حيث توصل أحد فقهاءهم - من أهل حران - إلى فكرة تنجيتهم من القتل أو الدخول في الأديان الأخرى ؛ فقال لهم : قد وجدت شيئاً تنجون به من القتل ، إذا رجع المأمون من سفره فقولوا له : نحن الصابئة . فهذا اسم دين ذكره القرآن ؛ فانتحلوه تنجون به !

(١) راجع ملاحظة "والتر ونك Walter Wink" - أحد المتخصصين في الدراسات المسيحية - لذلك ، واستشهاده

بأقوال كل من : كورت رولف ، واليدي دراور - في كتاب أصول الصابئة ص ١٢٤ وما بعدها .

(٢) راجع الفهرست ص ٣٢٠ ، ٣٢١ بتصرف يسير .

(٣) نسبة إلى مدينة "حران" ؛ وهي مدينة مشهورة تقع شمال مدينة الموصل على نهر البليخ أحد روافد نهر الفرات ، وهي الآن تتبع جنوب تركيا قرب الحدود السورية . كانت قديماً ملتقى مهمًا للثقافات الإسلامية والمسيحية .

لكن قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَمُوتَ الْمَأْمُونُ فِي تِلْكَ السَّفَرَةِ ، فَلَمَّا عَلِمُوا بِذَلِكَ ارْتَدُّوا مِنْ كَانَ تَنْصَرَّ مِنْهُمْ ، وَمَنْ أَسْلَمَ لَمْ يَسْتَطِعِ الرَّجُوعَ خَوْفًا مِنَ الْقَتْلِ - الَّذِي هُوَ حَدُّ الرَّدَّةِ - فَأَقَامُوا مُسْتَرْتِينَ بِالإِسْلَامِ ، لَكِنَّهُمْ لَا يَتَزَوَّجُونَ إِلَّا مِنْ نِسَاءِ حِرَّانِيَّاتٍ ! وَمُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتُ اتَّحَلُّوا اسْمَ "الْحِرَّانِيَّةِ" ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ بِحِرَّانٍ وَنَوَاحِيهَا قَوْمٌ يُسَمَّوْنَ "بِالصَّابَةِ" أ.هـ -

إِذَنْ ، كُلٌّ مِنَ الْمَنْدَائِيِّينَ وَالْحِرَّانِيِّينَ يُلْعَى وَصْلًا بِالصَّابَةِ ، وَيَقُولُ بَأَنَّ قَوْمَهُ هُمَ الْمَعْنِيُّونَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . وَالسُّؤَالُ الْآنَ : هَلْ هُنَاكَ عِلَاقَةٌ مَا بَيْنَ الْمَنْدَائِيَّةِ وَالْحِرَّانِيَّةِ ؟ وَمَا هِيَ الدِّبْيَانَةُ الصَّابِيَّةُ مِنْهُمَا الَّتِي ذَكَرَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ؟

وَالْإِجَابَةُ تَقْتَضِي أَوَّلًا التَّحَقُّقَ مِنْ صِحَّةِ الرِّوَايَةِ الَّتِي أَوْرَدَهَا "ابْنُ النَّدِيمِ" عَنْ "الْقُطَيْبِيِّ" ، فَإِنْ ثَبَتَتْ صِحَّتُهَا قَطَعْنَا بِأَنَّ "الْحِرَّانِيَّةَ" مَا هِيَ إِلَّا طَائِفَةٌ مَنُتَجِلَةٌ لِلدِّبْيَانَةِ الصَّابِيَّةِ ؛ اسْتَغْلَتْ حُرَّ التَّسَامُحِ الدِّيْنِيِّ الَّذِي أَشَاعَهُ الْإِسْلَامُ عَلَى الْأَدْيَانِ الْآخَرَى ؛ فَاتَّخَذَتْ مِنْ اسْمِ "الصَّابَةِ" سِتْرًا يُخْفُونَ وَرَاءَهُ وَثَنِيَّتَهُمْ ، وَيَسْتَلْمُونَ مِنَ الْمَلَأَقَةِ !

وَالْحَقُّ أَنَّهُ ، رَغْمَ أَنَّ تِلْكَ الرِّوَايَةَ الَّتِي حَدَّثَتْ بَيْنَ الْمَأْمُونِ وَالْحِرَّانِيَّةِ ، لَمْ يَرَوْهَا أَحَدٌ غَيْرَ "الْقُطَيْبِيِّ" - النَّصْرَانِي - وَالْمَعْلُومُ أَنَّ حَيَاةَ الْمَأْمُونِ قَدْ حَظِيَتْ بِعِنَايَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ قِبَلِ الْمُؤَرِّخِينَ ؛ نَظَرًا لِنَشَاطِهِ الْعِلْمِيِّ وَالْأَدَبِيِّ ؛ فَقَدْ أُقِيمَتْ فِي عَهْدِهِ "مَكْتَبَةُ الْحِكْمَةِ" ، وَرَعَى بِنَفْسِهِ حَرَكَةَ التَّرْجُمَةِ مِنَ الْيُونَانِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ فِي شَتَّى مِيَادِينِ الْعِلْمِ ..

إِلَّا أَنَّ افْتِرَاضَ صِحَّةِ الرِّوَايَةِ يَدْعُو الْأَقْرَبَ إِلَى التَّصَدِّيقِ ؛ لِأَنَّ لَدَيْنَا شَاهِدًا وَحِيدًا عَلَى هَذِهِ النِّحْلَةِ ، "الْمَسْعُودِيُّ" ت ٣٤٥هـ - وَهُوَ مِنْ بِلَادِ مَا وَرَاءَ النِّهْرَيْنِ - الَّذِي ذَهَبَ بِنَفْسِهِ إِلَى مَدِينَةِ "حِرَّانٍ" - وَالْمَعْلُومُ أَنَّ الشَّهَادَةَ الْعَيْنِيَّةَ لَهَا تَقْدِيرٌ خَاصٌّ عِنْدَ الْبَاحِثِينَ - وَعَايَنَ الْحِرَّانِيَّةَ عَنْ كُتُبٍ ؛ وَقَالَ فِي كِتَابِهِ "مَرْجُوحُ الذَّهَبِ" الَّذِي أَتَمَّ تَأْلِيفَهُ فِي عَامِ ٣٣٥هـ - أَيَّ قَبْلَ وَفَاتِهِ بَعِشْرَ سَنِينَ : "وَلِهَذِهِ الطَّائِفَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِالْحِرَّانِيِّينَ الصَّابِيَّةِ فِلَاسَفَةٌ ، إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ حَشْوِيَةِ الْفِلَاسَفَةِ .. وَرَأَيْتُ عَلَى بَابٍ بِمَجْمَعِ الصَّابَةِ بِمَدِينَةِ حِرَّانٍ مَكْتُوبًا عَلَى مَذْقَةِ الْبَابِ بِالسَّرْيَانِيَّةِ قَوْلًا لِأَفْلَاطُونٍ ؛ أَفْهَمَنِي تَفْسِيرُهُ "مَالِكُ بْنُ عَقْبُونٍ" وَغَيْرُهُ ؛ وَهُوَ : مَنْ عَرَفَ ذَاتَهُ تَأَلَّهُ . وَقَدْ قَالَ أَفْلَاطُونُ : الْإِنْسَانُ نَبَاتٌ سَمَاوِيٌّ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا : أَنَّهُ شَبِيهُ شَجَرَةٍ مَنَكُوسَةٍ ؛ أَصْلُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَفُرُوعُهَا فِي الْأَرْضِ" (١) .

(١) مَرْجُوحُ الذَّهَبِ وَمَعَادِنُ الْجَوْهَرِ ص ٣٢٨ ، ط سَنَةِ ١٢٨٣هـ - ، لِلطَّبْعَةِ الْعَامِرَةِ ، مِصْرَ .



هذه الشهادة لها أهمية كبرى ؛ لأن معناها : أن تسمية "الصائبة الحرائين" يجب أن تؤخذ هنا بمعناها الفلسفي الذي يُشير إلى "الأفلاطونيين" . فعبارة : "من عرف ذاته تأله" أو "من عرف نفسه عرف كل شيء" ؛ إنما هي من التعاليم الأفلاطونية التي ربما كانت تُدرّس في حرّان آنذاك.

فالجمع الذي يحملُ بابه الخارجي قولاً أفلاطونياً مأثوراً — كما ذكر المسعودي — ليس سوى المكان الذي كان يجتمع فيه فلاسفة حرّان ؛ خاصة وأن المسعودي يُصنّف الحرائين في جماعتين :

— الأولى: جماعة الفلاسفة الحشويين — ويقصدُ بهم الطبقة الدنيا أو العوام — وهم أتباع الديانة الوثنية في حرّان .

— الثانية: جماعة الحكماء — بالمعنى الدقيق للحكمة — وهم ورثة فلاسفة الروم في حرّان.

بل إن المسعودي يُميّزُ تماماً بين كلمة "الجمع" الذي كان يجتمع فيه الفلاسفة الروم ، وبين كلمة "المعبد" الديني للديانة الشعبية أو المحلية التي كانت موجودة ؛ فحينما أجرى مُراجعة لكتابه "مروج الذهب" عام ٣٣٦هـ ، اعترف صراحة بأنه لم يكن يُوجد في حرّان كلّها سوى معبدٍ وحيدٍ يُطلَقُ عليه "ميلطية" . أمّا المركز الثاني للوثنية الحرائية الذي كان ما زال قيد العمل ، فهو مقرّ "الصائبة الروم" أو الأفلاطونيين<sup>(١)</sup> .

وهذا معناه أن كلمة "جمع" لا تُرادف كلمة "معبد" ، وإنما تُرادف كلمة "مدرسة أو أكاديمية" ، وأن المكان الذي زاره المسعودي لم يكن إلا أكاديمية حرّان الأفلاطونية ، وأن الذين رافقوه في الزيارة هم أعضاءها . أمّا "مالك بن عقبة" الذي فسّر له معنى العبارة المنقوشة على مدقّة باب الجمع ؛ فهو — حسب كل الظواهر — "رئيس تلك الأكاديمية"<sup>(٢)</sup> .

(١) راجع مروج الذهب ص ٣٢٨ (السابق) .

(٢) راجع ميشيل تارديو : صائبة القرآن وصائبة حرّان ص ٢٠ ، ترجمة: سليمان حرفوش ، ط ١ سنة ١٩٩٩ م ، دار الحصاد ، دمشق سوريا .

إذن ، فالخرائية ليسوا هم الصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، وإنما هم طائفة وثنية من مُحترفي الفلسفة ، تتخذ من أفلاطون وتعاليمه موضوعات للدراسة ومجاور للبحث ، ولا علاقة لها بطائفة "المندائية" التي تُمثل "الغنوص"<sup>(١)</sup> بامتياز ، كما أسلفنا القول .

### لكن ، هل المندائية - إذن - هي التي تُمثل صابئة القرآن ؟

الحق أن الصابئة تظل الفرقة الوحيدة من بين الفرق الأربع التي ذكرها القرآن الكريم - التي لا نعلم عنها شيئاً ، بعدما اختفى كل أثر لها . ففي زمن النبي ﷺ - كان الصابئون معروفين بالاسم فقط ، ولم نكد نعلم أن صابئاً واحداً كان معروفاً بعينه . وكان وجودهم في داخل الجزيرة العربية موضع شك كبير ؛ إذ لم يكن معروفاً بالعين والصفة إلا اليهودي والنصراني والمجوسي ، إما الصائفي فكان مجهولاً تماماً . وعلماء الحديث والتفسير الذين كانوا يجربون الجزيرة العربية ، لم يدع أحدهم منهم أنه يعلم عنهم أكثر مما نعلم نحن الآن !

لكن اليقين في صحة "النص الديني" هو الذي يجعلنا نجزم بأن الاسم لا يمكن أن يرد هكذا دون أن يكون هناك من ينطبق عليه ؛ خاصة وأن الاسم تدعيه الآن طوائف ليس لها علاقة بفترة "الجاهلية العربية" - لا تاريخياً ولا جغرافياً - كالخرائية والمندائية .

إذن ، فالمصدر الوحيد لتحديد صابئة القرآن ؛ هو القرآن وحده . وللعلم أنه صنفهم ضمن أهل الكتاب ؛ وهذا ربما يدل على أنه كان لديهم كتاب مُقدس - كاليهود والنصارى - يختلف عن التوراة والإنجيل ، وإن اشتهر معهما في معاني عامة أو عناصر مشتركة . ولا يمكن أن تكون تلك الطائفة وثنية ، بل يجب أن تكون "غنوصية" - أي أن لها مذهباً في المعرفة الدينية - وأن لها طقوساً دينية على نحو ما . وهذا "ربما" ينطبق على "المندائية" - كما سنرى - لكننا لا يمكننا القطع بأن المندائيين هم صابئة القرآن الكريم .

### نشأة المندائية :

ذكر أصحاب المقالات روايات كثيرة حول نشأة "المندائية" ، يحوط معظمها كثير من الغموض ؛ مما يُصعب من عملية القطع برواية دون أخرى في كتب المؤرخين القدامى ؛ الذين غلب

(١) معنى الغنوص: هو معرفة أشياء دينية تسمو على مستوى عامة المؤمنين ، على مستوى العقيدة الرسمية ؛ راجع للمعجم الفلسفي ص ١٣٣ ، تصدير: د. إبراهيم مذكور ، ط سنة ١٩٧٩م ، المطبعة الأميرية بالقاهرة .

على منهجهم النقل الشفهي عند معالجتهم للمسألة المندائية<sup>(١)</sup>، لا المخالطة أو المعاشة عن كتب، كما فعل بعض المستشرقين في العصر الحديث؛ ومن أبرزهم: الباحثة البريطانية "إيل ستيفانا دراور" [١٨٧٩ — ١٩٧٢م] أو كما يُطلق عليها "الليدي دراور Lady Drower"؛ التي جاءت إلى العراق مع الحملة العسكرية للاحتلال الإنجليزي، ومكثت حوالي الربع قرن، واستهوتها دراسة الأديان القديمة في الشرق الأوسط، والمندائية بشكل خاص، حتى إنها عاشت بينهم حوالي أربعة عشر عاماً؛ أتقنت فيها اللغة المندائية إلى جانب العربية والسريانية، وأقامت اتصالات مباشرة بالطائفة ورجال الدين فيها، واستطاعت أن تكسب ود رجال الدين المندائيين وتنال ثقتهم؛ حتى أباحوا لها بكل أسرارهم الدينية، بما فيها تلك التي يحجبونها عن عامة الطائفة<sup>(٢)</sup>.

ومكّنت "دراور" بعد تلك المدّة، أن تُصنّف كتباً كثيرة عن "المندائية" حظيت بقبول واسع لدى الباحثين وأهل الطائفة أنفسهم. بالإضافة إلى أنها قامت بإصدار "قاموس" عن اللغة المندائية، بالاشتراك مع المستشرق الألماني "رودلف ماكوخ Rudolph Macuch" عام ١٩٦٣م.

لذلك، سنضرب صفحاً عن روايات المؤرخين القدماء حتى لا نثقلهم بالتحيز، ونعتمد — بشيء من الحذر — روايات المستشرقين حول المنشأ الأول للمندائية؛ وهي كلها لا تخرج عن نظريتين — كما يذكر الباحث المندائي "عزيز سباهي"<sup>(٣)</sup>:

— الأولى: ترى أنهم من سكان ما بين النهرين القدماء، وأنهم ورثوا كثيراً من "الميثولوجيا"<sup>(٤)</sup> البابلية، لكنهم تأثروا بالمعتقدات الدينية الفارسية بحكم تجاورهم مع الفرس، وباليهودية من خلال الجماعات اليهودية التي كانت تسكن ما بين النهرين، وتأثروا بالمسيحية من

(١) راجع على سبيل المثال: للعلّ والعلّ للشهرستاني ٢ : ٣١٥، تحقيق: أمير علي مهنا وآخر، ط ٦ سنة ١٩٩٧م، دار المعرفة بيروت. وراجع: الفصل لابن حزم ١ : ٨٨ — ٩٠، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وآخر ط دار الجيل، بيروت لبنان.

(٢) عزيز سباهي: أصول المندائية ص ٣٧.

(٣) السابق ص ٣٨.

(٤) أي الأساطير؛ فمصطلح "ميثولوجيا" من كلمة myths التي تعني الأساطير. والميثولوجيا تعني: حكاية أسطورية قد تعتقد لها العامة، ولكن بالنسبة للعلماء لا تحتر كل أسطورة كاذبة بالضرورة.

خلال الاحتكاك بالنساطرة المسيحية<sup>(١)</sup>. وقد تزعم هذا التيار المستشرق الروسي "دانييل خوالسون" في منتصف القرن التاسع عشر - عام ١٨٥٦م - الذي استند في الأساس إلى المصادر العربية والسريانية. وسار على منواله كل من: "براندت"، و"كيسلر"، و"زيمرن".

— الثانية: ترى أن منشأهم كان في الغرب، بين طوائف البحر الميت أو في شرقي الأردن؛ ممن كان يُمارس "التعميد" هناك. وقد تزعم هذا الاتجاه: "ليدز بارسكي"، وسار على نهجه كل من: "رودلف ماكوخ"، و"كورت ماكوخ"، والليدي "دراور" في أبحاثها الأخيرة.

ويبدو أن الذي دعا الليدي "دراور" وغيرها من المستشرقين، إلى الاعتقاد بأن الصابئة الأصلاء من سكان فلسطين إلا أنهم هاجروا منها بسبب الاضطهاد الذي لحقهم على أيدي المؤسسة اليهودية الرسمية، ومن قبل الحكام الرومان: وجود علاقة ما بين طقوس الصابئة وطقف روحانية يهودية تُسمى "الأسينون"، كانت موجودة في فلسطين قبل الميلاد؛ حيث يؤمن أتباعها بالفضيلة المطلقة، ويستقبلون الشهوات لدرجة أنهم لا يتزوجون، بل يتبنون أطفالاً غيرهم. والملكية عندهم مشتركة بين الجميع ولا يوجد بينهم بيع ولا شراء، وإنما يقترضون بقدر الحاجة، ويلبسون الملابس البيضاء<sup>(٢)</sup>.

(١) النساطرة: طائفة من المسيحية، تؤمن ببشرية "عيسى" - ~~عليه السلام~~ - وهم يتسبون إلى "نسطوريوس" بطرك القسطنطينية؛ الذي تأثر بالعالم الإسلامية؛ فقد كان يقول: إن مريم لم تلد إلهاً، بل إنساناً؛ وإنما اتحد به في المشيئة لا في الذات، وليس هو إلهاً حقيقة بل بالوهبة. ويرى الشهرستاني أنهم تأثروا بالمتزلة على وجه الخصوص، وأن مذهبهم في الألقاب أشبه بأحوال أبي هاشم الجبائي؛ الذي بُعثت خواص مختلفة لشيء واحد. [راجع: الملل والنحل ١: ٢٦٨ وما بعدها، ومقدمة ابن خلدون ١: ٢٢٤ بتحقيق: د. علي عبد الواحد وافي].

(٢) الأسينون: نسبة إلى كلمة أسيز، وتعني باليونانية الصامتين أو للمارسين أو الإقبياء أو الوريين، وقد أطلقت هذه التسمية على طائفة من بني إسرائيل نشأت قبيل العهد المسيحي في الفترة المكاية الحشمونية (١٥٠ ق.م - ٣٠ ق.م)، وسكنوا خربة "قمران" وفق شرائع محددة ملتزمة بالطهارة والعبادة، وآمنت أن الله هو الخالق الوحيد، واستمرت هذه الجماعة قائمة إلى عام ٦٨م حيث قضى عليهم الرومان. راجع الموسوعة الحرة

هؤلاء الأسينون يلتقون مع المندائيين في طقوس "التعميد" ، ويلبس المندائي - مثلهم - الملابس البيضاء التي يسمونها بـ "الرسة" . كما تلقي الطائفتان في النظرة "النوية" تجاه النور والظلام ، والخير والشر ، وهي ثنائية شاعت بتأثير التعاليم البابلية<sup>(١)</sup> .

أمر آخر، ربما يرجح احتمال أن تكون فلسطين أو أكناف البحر الميت هي الموطن الأصلي للصابئة ؛ حيث أشار "ابن النعم" في فهرسه إلى طائفة تسمى "الحسح"<sup>(٢)</sup> ، لها أتباع في شرق البحر الميت . وهي فرقة فلسطينية قريبة من اليهودية ، تتخذ من "التعميد" ركناً أساسياً في طقوسها الدينية . ودعوتهم تقوم على الاستمسك بالشرعية اليهودية ، بما فيها التقيد بأحكام السبت ، فضلاً عن أنها تُمارس عملية "الحِتان" .

فاعتقد "ابن النعم" وجود علاقة تربط بين هؤلاء الحسح وبين صابئة العراق المندائيين ؛ فقال : "هؤلاء القوم كثرون بنواحي البطائح - أي جنوب العراق - وهم صابئة البطائح ؛ ويقولون بالاغتسال ، ويفسلون جميع ما يأكلونه ، ورئيسهم يُعرف بالحسح"<sup>(٣)</sup> .

والحق أن ملاحظة "ابن النعم" ليست دقيقة ؛ لأن "التعميد" الذي يُمارسه كل من الحسح والمندائيين ، لا يصلح وحده دليلاً على أن المندائية هي امتداد لهؤلاء الحسح ، الذين كانوا يسكنون الجانب الشرقي لنهر الأردن منذ القرن الأول للميلاد .

فتمّة أمور أساسية لا تشترك فيها الطائفتان ؛ كالحِتان - مثلاً - حيث يلتزم به أتباع الحسح ، بينما يُحرّمه المندائيون . والحسح يُعظمون يوم السبت ، بينما يُعظم المندائيون يوم الأحد . فضلاً عن أن الحسح تُعدّ من طوائف اليهود - كالأسينيين - ، والمعلوم أن بين الصابئة واليهود عداً كبيراً ؛ نظراً لاضطهاد اليهود لهم على مر التاريخ ؛ حتى إن يوم خروج موسى ﷺ من مصر وبجانه هو وقومه - وهو يُعدّ نصراً مؤزراً لليهود - يُعتبر عند المندائيين فجيعة كبرى ، ويقومون في

(١) راجع : أصول الصابئة ص ٨٤ وما بعدها (مرجع سابق) .

(٢) الحسح في اللغة الآرامية بمعنى : القوة الخفية - انظر السابق ص ١٠٥ .

(٣) راجع الفهرست ص ٣٢ وما بعدها ، ط سنة ١٩٧٨ م ، دار المعرفة ، بيروت لبنان .

ذكرها المآثم وحفلات التأين على أرواح الغرقى المصريين ، ويُطلقون على هذه المناسبة الحزينة "عاشورية"<sup>(١)</sup>؛ وهذا يدل على أن المندائيين ربما كانوا متواجدين في مصر آنذاك .

وسواءً أكان المنشأ الأول للصابئة ببلاد ما بين النهرين ، أو كان في فلسطين ، أو شرقي نهر الأردن ؛ فإن الملقب به الآن ، أن المندائية هي الفرقة الوحيدة من الصابئة التي ما زالت موجودة إلى اليوم بالعراق وإيران .

إذن ، نحن أمام مُكوّنٍ فكريٍّ لا إلى الإسلام ينتمي ، ولا إلى النصرانية ينتسب ، وبينه وبين اليهودية جفاءً كبيراً ، ومع ذلك يزعم أنه الممثل الأول والأخير للديانة الصابئية التي ترفع شعار "التوحيد" منذ آدم - عليه السلام - وحتى اليوم .

وسواءً أكانوا صادقين في هذا الادّعاء أم لا ، فإنه على كلّ حالٍ زعمٌ من أصحابه ، ولا نسعى من جانبنا لإثبات صحّته - لنشر المصادِر الصحيحة والموثقة - لكننا واجهنا أنفسنا أمام طائفةٍ لها معتقدات خاصة ، وطقوسٌ في العبادة تختلف عمّا لدى الأديان الأخرى ، وتزعم أن لها أنبياءً وكتباً مقدّسة ، بل وتزعم أن معتقداتها خالية من صور الوثنية ، وأن ما تحفل به من الرمزية المفرطة إنما هو من بقايا التأثير الغنوصي التي حظيت به الديانة منذ نشأتها ، وظلّت مُحفَظَةً بالأسس الرئيسية له ؛ لأن فيه نزوعاً إلى إدراك الأسرار الربانية عن طريق التأمل الباطني والمجاهدة النفسية !

فما حقيقة هذه المعتقدات وتلك الطقوس ؟ هذا هو موضوعُ المبحث الثاني من الدراسة .

<sup>(١)</sup> راجع أصول الصابئة ص ١٠٩ ، وراجع محمد عمر حمادة : تاريخ الصابئة المندائيين ص ٢٥ وما بعدها ط ١ سنة ١٩٩٢م دار قتيبة سوريا .

— والعاشورية: هي إحدى المناسبات المهمة لدى الصابئة، وتكون في آخر كانون الثاني من كل عام؛ حيث يُشترط على كل عائلة في يومها أن تطبخ كمية من الحريس وتقرأ عليه بعض التراتيل والأدعية على أرواح شهداء الصابئة الذين غرقوا في البحر الأحمر جرّاء تعقب موسى وقومه، وقت خروجهم من مصر في القرن السابع قبل الميلاد . [راجع: السيد الحسيني: الصابئون في حاضرم وماضيم ص ١١٦، ط ٤ سنة ١٣٩٠هـ — مطبعة العرفان بلبنان. وراجع: د.علي محمد عبد الوهاب: الصابئة ص ١٣٤ ، ط ١ سنة ١٩٩٦م دار ركابي بالغورية ، القاهرة ] .

## المبحث الثاني :

### المعتقدات الدينية للصائبة المندائية

ذكر "أبو الريحان البيروني" ت ٤٤٠هـ - عنهم أقوالاً ، ومن جملته ما قاله عن معتقداتهم: "إنهم أناسٌ يوحّدون الله تعالى ويُزهِونَه عن القبائح ، ويصفونه بالسلب لا بالإيجاب ؛ كقولهم : لا يُحدّ ، ولا يُرى ، ولا يظلم ، ولا يجور.. ويُسمّونه بالأسماء الحُسنى مجازاً ؛ إذ ليس عندهم صفةٌ بالحقّيقَة . ويُنسِبون التدبيرَ إلى الفلكِ وأجرامِهِ ؛ ويقولون بحياتها وسَمْعِها وبصرِها ، ويُعظّمون الأنوارَ.." (١) .

وبقليلٍ من التأملِ في القولِ السابقِ - فيما عدا الجزء الخاص بالفلك والأجرام - يُمكن استخلاصُ أن الصائبة المعاصرين - أو المندائية - ليسوا "وثنيين" ، لكن الأمرَ يحتاجُ إلى توضيحٍ أكثرَ ، خاصّةً وألّهم مُتهمونَ بعبادةِ الكواكبِ والنجومِ .

ولعلّ في استطاعةِ أي باحثٍ الوقوفَ على أهمّ المعالمِ الرئيسيّةِ لأي مُعتقدٍ ، من خلالِ معرفةِ أربعةِ أركانٍ ؛ وهي عقيدتهم في : الألوهية ، والنبوّة ، والملائكة ، واليومِ الآخرِ . وهذه الأركانُ ليست هي كلّ العقيدة ، لكنها قوائمُ كلّ ديانةٍ .

وهذا المنهجُ هو ما سنحاولُ تطبيقَه على "المندائيين" ؛ الذين يعتقدون أنهم أصحابُ دينٍ صحيحٍ ، يقومُ على التوحيدِ والإيمانِ باليومِ الآخرِ :

#### • عقيدة المندائية في الخالق - "التوحيد" - أو (سهلونا إذ هي) :

يعتقد المندائيون في وجود خالقٍ عظيمٍ ؛ واحدٍ وحيدٍ وأزليٍّ ، وهو المصدرُ الذي انبثقت منه جميعُ المخلوقاتِ . لا حدّ له ، ولا يتجسّمُ في صورةٍ أو خيالٍ أو صنمٍ .. إليه وحده يلجأ الإنسانُ ؛ وهو لا يُحبُّ أملَ مَنْ يَرْجوه ، ولا يَنزُلُ من يدعوه .. إنه ملكُ الأنوارِ ، أو النورُ النقيُّ الذي لا يُرى ولا يُسمعُ . إنه الغفورُ الرحيمُ العالمُ بكلِّ شيءٍ ، المُنفذُ لكلِّ مؤمنٍ ، الذي لا شريكَ له في سُلْطانه ؛ فقد جاء في "كنزاً ربّاً" (٢) - وهو الكتابُ المقدسُ للطائفةِ المندائية - "البوئات" أو الآياتُ التاليةُ :

(١) انظر: الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٣٠٤ ، ط مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ .

(٢) الكنزاً ربّاً ، هو كتاب "الكنز"، أو الكنز العظيم ، أو السيدرا ؛ وهي جميعها أسماء لكتاب واحد ألا وهو الكتاب المقدس للصائبة المندائيين ، و"كنزاً" يكتب بالجيم في المندائية وليس بالكاف ، وأثرنا كتابته هذا الشكل

- "هو الحَيُّ العَظِيمُ، البَصِيرُ القَدِيرُ العَلِيمُ، العَزِيزُ الحَكِيمُ \* هو الأَزَلِيُّ القَدِيمُ، الغَرِيبُ عن أَكْوَانِ النورِ، الغَنِيُّ عن أَكْوَانِ النورِ \* هو القَوْلُ والسَّمْعُ والبَصَرُ، الشِّقَاءُ وَالظُّفَرُ، والقُوَّةُ والثَبَاتُ \* هو الحَيُّ العَظِيمُ، مَسْرَّةُ القَلْبِ، وَغَفْرَانُ الخَطَايَا..".
- "هو العَظِيمُ السَّامِيُّ . مَلِكُ النورِ السَّامِيِّ \* الحَنَّانُ التَّوَّابُ الرَّعُوفُ الرَّحِيمُ الحَيُّ العَظِيمُ \* لا حَدَّ لِهَيْبِهِ وَلَا مَدَى لَضِيائِهِ \* المَبْتَشِّرَةُ قُوَّتُهُ . العَظِيمَةُ قُلُوبُهُ \* هو العَظِيمُ الَّذِي لَا يُرَى وَلَا يُحَدُّ \* لَا شَرِيكَ لَهُ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا صَاحِبَ لَهُ فِي صَوْلَاتِهِ \* مِنْ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ فَلَنْ يَخِيبَ، وَمَنْ يُسَبِّحُ بِاسْمِهِ فَلَنْ يَسْتَرْيبَ، وَمَنْ يَسْأَلُهُ فَهُوَ السَّمِيعُ الْمُجِيبُ \* مَا كَانَ لِأَنَّهُ مَا كَانَ، وَلَا يَكُونُ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ \* خَالِدٌ فَرَقَ كُلَّ الأَكْوَانِ . لَا مَوْتَ يَدْنُو مِنْهُ وَلَا بَطْلَانَ \* أَمَامَهُ المَلَأَكَةُ مَائِلُونَ، بِأَصْوَاتِهِمْ يَتَأَلَّقُونَ . سَاجِدِينَ خَاشِعِينَ . شَاكِرِينَ مُسَبِّحِينَ \* " .
- "هو الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ وَلَا وَكِيلَ، وَلَا تَدْنُو مِنْهُ غُتْمَةٌ لَضَوْئِهِ وَلَا لَيْلٌ \* هو الجَلَالُ وَالْإِتْقَانُ . هو العَلَنُ وَالْأَمَانُ . هو الرَّافَةُ وَالْحَنَانُ \* " .
- "هو الأَوَّلُ مِنْذُ الأَزَلِ . خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ \* ذُو القُوَّةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مِثْلٌ . صَانِعُ كُلِّ شَيْءٍ جَمِيلٍ \* رَبُّ أَكْوَانِ النورِ جَمِيعاً . الأَسْمَى مِنَ الأَثَرَيْنِ جَمِيعاً \* إِلَهُهُمْ جَمِيعاً \* " .

لأن المندائيين ينطلقون الجيم كافاً . [ انظر: أسماء الأعلام المندائية في كزوا ربا، ص ٢، وهي دراسة ماجستير في اللغات السامية ( اللغة المندائية ) - جامعة بغداد ١٩٩٧ للأستاذ عبد المجيد سعدون الصباحي .

- وينقسم الكزوا إلى قسمين: الأول: ويبدأ تسلسل صفحاته من اليمين إلى اليسار، ويسمى "كزوا-اليمين"، وهو يتضمن مواعظ وأساطير تتعلق بخلق الكون والأرض والإنسان.

والثاني: ويدعى "سيدرا ذنشما"، أي كتاب الأرواح، وهو يقتصر على التراتيل التي تتعلق بصعود النفس إلى عالم النور؛ ويسمى "كزوا-اليسار"؛ لأن تسلسل صفحاته يبدأ من اليسار إلى اليمين .

والقسمان يُجمعان في مجلد واحد، يُدعى "الكزوا" أو "الكزوا ربا" - راجع: أصول الصابئة، هامش ص ٧٢ .

- وقد ترجم كتاب "الكزوا ربا" من اللغة المندائية إلى اللغة العربية، الشاعر العراقي المعروف "عبد الرزاق عبيد الواحد"، وطبعه طبعة خاصة بالعراق . وتوجد في خزانة المتحف العراقي نسخة كاملة منه . طبع في كوتنهاجن سنة ١٩١٥م، وطبع في لايبزيغ سنة ١٨٦٧م . وهذه النقول هي عبارة عن بونئات أو آيات من "كزوا ربا - يمن"، لكتاب الأول : تسيح التوحيد .



• "هو الور الذي لا ظلمة فيه ، الحي الذي لا موت معه ، والخير الذي لا شر فيه \* هو الهادي دون غضب ، اللذيذ الذي ما نصب \* " .

• "هو البهي . الساكن في الشمال العلوي \* أصل الثورات جميعاً ، وأبو الأثرين جميعاً \* المقيم في ملكوته . العادل في جبروته \* أطلق الكاملين الصادقين ، وطبع اسمه على أفواه المؤمنين ، وباركهم ببركته أجمعين \* قلزته لا تحصر في العذ والحسبان ، ولمعات تاجه تنطلق إلى كل مكان ، وإشعاعات نوره تبعث من بين أوراق إكليله ، ملأ الأكوان \* " ١ . هـ

### ملاحظات على البوئات السابقة :

باستثناء الفقرة الأخيرة التي تُحلّد مكان الإله — الساكن في الشمال العلوي — فإن النقول السابقة لا تُشير إلى وثنية ، ولا تتعدّد كثيراً عن عقيدة التوحيد الصافي . وليس فيها ما يؤهم عبادة النجوم والكواكب — كما يعتقد البعض — حيث يقول "الكوا" في موضع آخر نافيةً ذلك الوهم : "يا أصفهائي . أيها المؤمنون : لا تُمجّئوا الشمس والقمر \* هو الله الذي أمر \* فكان لهما وللکواكب هذا الضياء ، لكي يُنثروا به الظلماء \* فإذا نادى الحي العظيم ، سقطت كلها في قرار بهيم \* " (١) .

لكن ، الحق أن ذلك التنزيه ليس مطلقاً ، بل يشوبه الكثير من المعتقدات التي تُعكّر صفوه ؛ ذلك أن المندائيين يؤمنون بأن الخالق الأعظم قد خلق هذا العالم المادي ؛ الذي يُسمونه عالم اللا حقيقة — أو العالم المظلم الذي يُطلق عليه "أراد تيوال" — لكنه فوّض الحكم فيه وفي كل ما يتعلّق بمخلوقاته ، إلى مُساعديه من الملائكة .

هؤلاء المساعدون هم أرواح القوّة والنقاء التي خلقها الحي العظيم "هي ري" ؛ عندما لفظ على كل شيء اسمه ؛ وهم بمثابة "الأرباب" المُتَحَكِّمين في الكون ؛ وعدلهم ثلاثون وستون — كما ذكر الباحث "تقولا السيوي" (٢) ؛ الذي بحث في المسألة المندائية منذ أواخر القرن الثامن عشر للميلاد — لكن

(١) انظر : ص ١٨ من التسيح الأول — الترجمة العربية .

(٢) عرّف به "يوسف سرکس" ، كما يلي : «تقولا السيوي: ولد بدمشق ودرس اللغتين العربية والفرنسية بمدرسة الآباء اللعازريين ، وفاق أقرانه بالعلم والدكاء فاختارته فصلية فرنسا أن يكون ترجمانها ، وقد اختصه الأمير "عبد القادر الجزائري" لمرافقته في إحدى رحلاته إلى باريس والقسطنطينية . وأسونطن مدينة بيروت إثر نكبة الشّام سنة ١٨٦٠ م ، ومكث بخدمة القنصلية الفرنسية ، ثم اختار قصلاً للدولة المذكورة في حلب والموصل ، ثم في بغداد ، وعند إحالته إلى المعاش عاد إلى الشّام وابتنى له مسكناً في بعيدا (لبنان) وقضى ما باقى أيامه إلى أن-

"الكِرَارَتَا" يذكرُ أن "الملائكة والأترين" لا يُحصى لهم عددٌ ، وأن الرقم "٣٦٠" ما هو إلا عددُ أيامِ السنة المندائية<sup>(١)</sup> .

## ● عقيدة المندائية في الأنبياء :

الشائع لدى فرق الصابئة<sup>(٢)</sup> ، أنهم ينكرون النبوة ؛ لاعتقادهم أن الله تعالى لا يُخاطبُ أحداً

من البشر ، وإنما خلقَ الروحانيات - أي الملائكة أو الأترين - ثم تلبست هذه الروحانيات بالكواكب النورية . ولما احتاج الأمرُ إلى أمثلةٍ لهذه الكواكب يراها العبَّاد حين يشاعون ، صنعوا لها صوراً من الأوثان ، وجعلوا اتجاههم - أو قِبَلَتَهُمْ - نحو النجم القطبي ؛ لأنه ثابتٌ في مكانه .

-وفاته الأجل المحترم. وكان صاحب الترجمة متضللاً في العلوم التاريخية، لاسيما في المسكوكات القديمة، وله مقالات باللغة الفرنسية نشرت في المجلة الآسيوية بباريس، وله باللغة العربية لائحة تتضمن ما ارتكبه العروسيون في فرنسا من المظالم والسرقات والفسادات أثناء حرب ١٨٧٠م طبع في بيروت سنة ١٨٧١م . [معجم المطبوعات العربية والمعربة، ١: ١٠٨٧ منشورات سنة ١٤١٠ هـ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مدينة قم المقدسة].

(١) انظر مقال: "أسطورة الخلق في مرويات الصابئة المندائية"، إعداد وترجمة: محمد الحاج سالم ، وأمنة جبلاوي، وهو منشور في مجلة "ألف" الصادرة في سوريا - عدد ديسمبر ٢٠٠٩م.

(٢) فرق الصابئة كثيرة، أشهرها أربع:

- الأولى: أصحاب الروحانيات الذين يعملون من الكواكب وسائل لقضاء الحاجات والتقرب إلى الله ، يزعمون أنهم أتباع "هرمس" أو إدريس عليه السلام .

- الثانية: أصحاب الهياكل الذين ينسبون الفعل للأفلاك والكواكب، يزعمون بأنها أحياء ناطقة، ويدعون إلى عبادة الكواكب السبعة الكبار.

- الثالثة: أصحاب الأشخاص "أو الأصنام" الذين يعتقدون أن الكواكب وإن كانت مرئية إلا أنها تظهر لنا تارة وتختفي تارة أخرى ؛ ولكي تبلى مرئية على الدوام ، صنعوا لها أصناماً لتكون سيلتهم إلى الهياكل التي هي وسيلة إلى الروحانيات والتي هي بدورها وسيلة إلى الله تعالى؛ فانخدعوا أصناماً مصورة على صور الهياكل السبعة.

- الرابعة: أصحاب الحلول، وهم الحمرانية على الأرجح، الذين يزعمون أن الإله واحد في ذاته، لكنه خلق الأحرار والكواكب وجعلها مدبرة للعالم المادي .

[راجع: الأمدي: أفكار الأفكار في أصول الدين ٢: ٢٦٤ وما بعدها، تحقيق: د. أحمد محمد المهدي، ط ٢ سنة ٢٠٠٤م دار الكتب والوثائق القومية - مركز تحقيق التراث ] .

إلا أن المندائية — من بين فرق الصابئة — هي التي تؤمن بالأنبياء ، ولدى أنبيائها شبه اتفاق على أن لهم أنبياء ورسلاً كثيرين ، من لدن آدم عليه السلام إلى يحيى المعدادن "أو المعتسل" ؛ يرجعون إلى تعاليمهم في حل مشاكلهم الدينية..

لكنهم تارة يُعدّونهم أنبياءً مُرسَلين من قِبَلِ الله الواحد ، وتارة أخرى يحسبونهم من عباد الله الخالصين ؛ الذين وصلوا إلى مقام الزلفى والإلهام بالرياضة أو المجاهدة والعبادة<sup>(١)</sup> .

وما نودُّ التأكيد عليه ، أن هؤلاء الأنبياء — أو الآباء الكبار كما يُطلقون عليهم — لم يكونوا في غالب أحوالهم أصحاب كتب مقدسة ، وإنما جاءوا بتعاليم وآداب صاغها علماء الطائفة في عصرهم أو في العصور اللاحقة ، مُتمتجة ببعض الأفكار "الغنوصية" ، ونسبوها لهؤلاء الآباء — وإن كان مصدرها سماوياً كما يعتقدون .

إذن ، يمكن القول بأن المندائية ديانة توحيدية في جنورها — وإن شاب توحيدها بعض الشوائب ، كما ذكرنا — وغنوصية في كثير من فروعها ؛ تؤمن بآدم ، وشيث ، وإدريس ، وسام ، وإبراهيم ، ويحيى — عليهم جميعاً السلام — وعقيدتها مُستوحاة من صحف هؤلاء الأنبياء وحِكَمِهِمْ وتعاليمهم ، ومنهم اهتدوا إلى التوحيد وعدم الشرك<sup>(٢)</sup> .

وأن بعض أنبيائها ، بل وبعض العناصر الممتازة من أبناء الطائفة الذين نذروا أنفسهم للدين وانقطعوا لدراسة تعاليمه ، وطهروا أنفسهم من دنس الشرك ، وسلكوا طريق الرياضات النفسية والروحية ؛ يُطلق عليهم لقب "الناصرانيين Nasoraeans" — أي المُلهمون — ويصير الواصل لهذه الدرجة بإمكانه إضافة حلول لمشاكل دينية وإنسانية ، والإتيان بتعاليم جديدة لم تكن موجودة من قبل في كتبهم المقدسة ، أو لم يأت بها أوائل أنبيائهم ومعلميهم .

وهذا الأمر ينطبق على "يحيى المعدادن" ؛ الذي يجعلونه أعظم الناصورانيين ؛ لذلك كان من حقّه أن يُدخل على طقوس الديانة تغيرات لم تكن موجودة في مهديها الأول ؛ كتقليل الصلوات التي يؤدّيها أبناء الطائفة من خمس إلى ثلاث صلوات في اليوم<sup>(٣)</sup> .

(١) راجع: عباس محمود العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء ص ٨٧ . ط ٧ سنة ٢٠٠٧ م ، دار فضاء مصر بالبحر.

(٢) راجع: د. علي محمد عبد الوهاب: الصابئة ص ٨٦ . (سابق) .

(٣) راجع: سعيد الحسني: الصابئة قديماً وحديثاً ص ٤٢ (سابق) .

كما ينطبق لقب "الناصري" أيضاً على "المسيح الكليما" <sup>(١)</sup>؛ فهو ظهر بمعجزاتٍ ساهمتُ بصورة رئيسية في علاج النفوس والأبدان. لكنه لما جاء بدينٍ جديد، اعتُبر عند الصابئة خارجاً على الدين الصحيح، وغير مؤمنٍ على الأسرار الربانية التي باحَ بها للعوام!

وأن البعض الآخر من الأنبياء، يُعْتَل لدى المندائية حَلَقَة تصل الأرضَ بالسماء؛ لأن هؤلاء الأنبياء هم وحدهم المؤهلون لاستقبال "المُخَلَّص Saviour"؛ الذي يَهْبِطُ عليهم من السماء ليُعين النفوسَ على الخلاص من عبوديتها، والصعود بها إلى ذُرا الروحانية. يقول د. عزيز سباهي: "في المندائية، مُثَل دَوْرُ المُخَلَّصِ هذا اثنان: مندا ذ يهي - أي من عرف الحي أو عارف الحي أو الحياة - حين هبطَ إلى العالم الدنيوي ليرشد آدم إلى طريق الخلاص. وأنش إثرا؛ الذي هبطَ ليُعلم يحيي ويرسم له الطريق التي ينبغي له أن يُشِيرَ بها لخلاص البشر. إن إيمان المندائية بأن المُخَلَّص هو عنصرٌ روحي يَهْبِطُ من السماء، دَفَعَهَا إلى أن تَرَسِّمَ ليحيي دَوْرًا واقعيًا، ولم تجد نفسها في حاجة إلى إسباغ الصفة الروحانية عليه، أو إلى تاليه؛ وبهذا الشكل ظهر يحيي كحلقة واقعية تصل الأرض بالسماء" <sup>(٢)</sup>.

لكن، مَنْ يكون "أنش إثرا" هذا الذي ورد ذكره كثيراً في التراث المندائي - وخاصةً في كتابي: دراشه ذ يهيا <sup>(٣)</sup>، وديوان حران كويتا <sup>(٤)</sup> - بأنه الملاك الذي هبطَ على "يحيي" ورعاه منذ

<sup>(١)</sup> المسيح في مخطوطات الصابئة يسمى "ريشو مشيه"، والمسيحيون يُسمون "مشيه". وتُستعمل كلمة "ناصري" في أساطيرهم، بمعنى: المخادق في الأمور الدينية. راجع دراور: الصابئة المندائيون ص ٤٢، ٤١.

<sup>(٢)</sup> أصول الصابئة ص ١٢٩ (سابق).

<sup>(٣)</sup> دراشه ذ يهيا: أي تعاليم يحيي، أو كما يُدعى "سيدرا ذ يهيا"، أو "دراشه ذ ملكا" - وكلها بمعنى: كتاب يحيي - وهو يضم مجموعة من التراث والنصوص التي تحدث عن يحيي ونشأته، وهجرة الناصوريين من فلسطين إلى الفرات، كما يضم بعض تفاصيل المحرمات واللباحات في الديانة المندائية. وقد ترجمه للمستشرق الألماني "ليدز بارسكي" إلى الألمانية عام ١٩٠٥م؛ وغدت ترجمته هي للتعلمة في الجامع العلمية الأوروبية.

<sup>(٤)</sup> ديوان حران كويتا: أي ملفوفة قلعة حران، ويطلق عليها "الرؤية العظيمة"، ويعود أقدم نسخة تم اكتشافها - كما تقول الفليدي دراور - إلى عام ١٠٨٨هـ.

- وكلمة "الديون" في اللغة المندائية، تعني "الكلمس" الذي يُكَب على شكل ملفوفة أسطوانية. و"حران كويتا" يتألف من سبعة نصوصٍ طويلةٍ صيغت على شكل أسئلة وأجوبة، وتدور كلها حول العقائد المندائية. وقد ترجمته "الفليدي دراور" ونشرته مع "ديوان مصبنا ذ هيل زيو" - أو تعيد للملاك الروحاني هيل زيو" أو حرايل، بعد أن هبط إلى الأرض لقمع تمرد قوى الظلام - وطُبع عام ١٩٥٣م بالفاتيك، ثم طُبع كجزء من كتاب "السف ترسر شياله" - أي ألف سؤال وسؤال - ونشرته أكاديمية العلوم الألمانية في برلين عام ١٩٦٠م.

كان طفلاً رضيعاً ، وبعدما شبَّ عن الطوفى شرعَ في تعليمه "الناصرانيا" إلى أن تأهلَ تماماً لمهمة الرسالة . ولما قُتلَ يحيى بأمرٍ من "هيرودس" - ملك اليهود - انتقم "أنش إترا" له ؛ بأن قامَ بتدمير أورشاليم ؟

إن الكنائس يتفقان على أن "يحيى" قضى طفولته وصباه بعيداً عن "أورشاليم" ، حتى إذا نضجَ وبلغَ مرحلة الرشد بعد تلقيه الإعداد الجيد ، عادَ للتبشيرِ بمنهجه .. فإين قضى فترة طفولته وصباه ؟

الإجابة عن هذا السؤال ، نستقيها من كتاب "أصول الصابئة" - ومن غيره - الذي تتبع مؤلفه ورودَ اسم "أنش إترا" في التراث ، لندلّ على ، وذكرَ أن الاسم يتألف من جزأين : "أنش" ؛ ويعني الكائن لبشري أو الإنسان ، و"إترا" ؛ يعني روحاً من الأرواح السماوية ، أو الكائن السماوي . وتكون صياغة الاسم على هذا النحو ، دالة على وظيفة "أنش" - سماوية<sup>(١)</sup> .

والحق أن المندائية لا تنفرد وحدها بمثل هذه الشخصية التي تقوم بدور سمائي وأرضي معاً ، وإنما هناك ما يُماثلها لدى الأديان الأخرى الموجودة في نية :

ففي التراث اليهودي ، توجد شخصية "أخنوخ" - وهو يشغل الموقع السابع في تسلسل ذرية آدم - الذي عاش ثلاثمائة وخمسة وستين عاماً ، وإنما أخذه الله عنده ، أو رفعه إليه<sup>(٢)</sup> .

وفي المسيحية ، شخصية "المسيح المسيح" الذي يعتقد بعض طوائف نصارى أن به عنصراً إلهياً ، وآخر مادياً .. ولدى النصاري خلاف كبير حول طبيعته .

وكُتِبَ التراث الإسلامي ، يتفقون على أن "إدريس عليه السلام" لم يمُت ، وإنما الله مكاناً علياً ؛ كما ذكر القرآن الكريم .

وتتفق المصادر الدينية والفلسفية في كل من اليهودية والمسيحية والإسلام ، على أن

الذي وردَ ذكره في التوراة ، هو نفسه "إدريس" الذي وردَ ذكره في القرآن ، وهو ذاته "هرمس هرمس الهرماسة" - أي حكيم الحكماء - أو "هرمس عطارد" كما جاء في الأساطير المصرية واليونانية<sup>(٣)</sup> .

[راجع : الليدي دراوير: الصابئة المندائيون - للقدمة - ، وراجع عنوان : كشف بالأدب المندائي من كتاب أصول الصابئة ص ١٢ وما بعدها ] .

(١) راجع عزيز سيامي: أصول الصابئة المندائيين ص ١٣٨ .

(٢) طبقاً لرواية الإصحاح الخامس من سفر التكوين - آية ٢٤ .

(٣) راجع الملل والنحل للهرستان ٢ : ٣٥٣ وما بعدها . وانظر د. حسن افتاح قريب الله: فلسفة وحدة الوجود ص ٢٣ وما بعدها ، ط ١ سنة ١٩٩٧م الدار للنصرية اللبنانية بالقاهرة .

وهو ذاته الذي تصفه الأساطير المتداولة بين أقوام المنطقة ، بأنه كان الوسيط الذي حمل إلى البشرية أسرار السماء وأسرار الكون<sup>(١)</sup>.

فالصورة التي رُسِمَتْ لهذه الشخصية "الأرض سماوية" في التراث الديني لأقوام المنطقة ، تماثل صورة "أنش إترا" التي يُقدِّمها الأدب. فإذا عَلِمْنَا أَنَّ المطابقة بين "هرمس" و"إدريس" قد انبثقت في الأصل عن "حران" - موطن الصابئة الحرانين كما ذكرنا - بفضل كتاب "نواميس هرمس"، الذي ترجمه "أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة الحراني" ٣٣١هـ<sup>(٢)</sup>؛ ويتضمن أقوالاً كثيرة تُنمُّ عن فلسفة عالية وحكم غالية ؛ تدور حول العمل الصالح والخلق الحسن ، ونحو ذلك من التعاليم التي تُنسب إلى الأنبياء . والحرانية أنفسهم لا يُخفون أَنَّ تعاليمهم الدينية قد تأثرت "بهرمس" هنا ، وبين دُعْيِي بِمُعَلِّمِهِ "عازيمون" المصري ، وغيرهما ؛ كما يذكرُ الشهرستاني<sup>(٣)</sup>.

مما سبق ، يُمكننا التكهّن بأنَّ للندائية قد تأثرت في تعاليمها وفي الأوصاف التي أطلقوها على أنبيائهم ومُعَلِّمِهِمْ ، بالديانات الأخرى ، وبخاصة اليهودية ، وبالميثولوجيا التي كانت مُنتشرة على ضفاف نهر الأردن وأكثاف البحر الميت ؛ مما يُعَضِّدُ الرَّأْيَ القائل بأنَّ فلسطين كانت الموطن الأصلي لها ، قبل أن تنتقل إلى حران وبلاذ الرافدين.

والدليل على ذلك ، هو العثورُ على مخطوطة صلاة "نابونيد"<sup>(٤)</sup> ضمن المخطوطات التي اكتشفت في "وادي قمران" والكهوف القريبة منه عند البحر الميت بفلسطين عام ١٩٤٧م<sup>(٥)</sup> ؛ وهذه الصلاة تؤكدُ الاتجاهات التوحيدية التي كانت آخذة بالظهور في بابل وحران والواحات الآرامية - العربية المُجاذبة للجنوب الفلسطيني . ووجودها ووجود آثار آرامية أخرى ، مع مخطوطات البحر الميت ، يدلُّ على أَنَّ الطوائف هناك لم تقتبس أفكارها ومعتقداتها من التراث اليهودي وحده ، وإنما أيضاً من تراث الأقوام الأخرى .

(١) راجع أصول الصابئة الندائيين ص ١٣٨ .

(٢) راجع شمس الدين الشهرزوري : تاريخ الحكماء - أو نزهة الأرواح وروضة الأفراح ص ٦٠-٦٢ ، ط ١ سنة ١٩٩٨م ، نشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ليبيا . وراجع : فلسفة وحدة الوجود ص ٢٤ .

(٣) راجع للعل والنحل : ٢ : ٣٦٧ .

(٤) هو آخر الملوك الكلدانيين الذين سكنوا حران وتوفي عام ٦١٠ ق.م ، كان قد اعتكف في واحة تيماء - شمال الحجاز - لتأمل للحقبات الدينية لعبادة إله القمر ؛ بهدف تطويرها بما جفت والاتجاهات التوحيدية الآخذة في النمو في تلك البقاع . وهذه الصلاة تعد جزءاً من التراث الشعبي الذي استقى منه واضع "سفر دانيال" - في العهد القديم - قصته التي أوردتها الإصحاح الرابع ، لكنه استبدل فيها شخصية "نابونيد" بشخصية "نبوخذ نصر" . [ راجع : أصول الصابئة ص ١١٢ ] .

(٥) راجع العقاد : حياة المسيح ص ١١٢ .

### • عقيدة المثالية في الملائكة :

يؤمنُ المندائيون بالملائكة - ويسمّونهم أيضاً بالآثرين أو الروحانيات - أشدَّ الإيمان ، ويجعلون لهم مكانة خاصة ؛ فهم عندهم - كما يذكرُ الشهرستاني - مُطهَّرون ومقدَّسون جوهرًا وفعلاً وحالاً :

أمَّا الجوهرُ ؛ فهم المقدَّسون عن الموادِّ الجسمانية ، المنزَّهون عن الحركاتِ المكانية والتغيراتِ الزمنية ؛ قد جُبلوا على الطهارة ، وفُطروا على التقديسِ والتسبيح..

وأمَّا الفعلُ ؛ فهم - عندهم - الأسبابُ المتوسِّطون في الاختراع والإيجاد وتصريفِ الأمورِ من حالٍ إلى حالٍ ، وتوجيه المخلوقاتِ من مبدأ إلى كمالٍ ؛ يستملِّتون القُوَّةَ من الحضرةِ القدسية ، ويفيضون على الموجوداتِ السفلية ..

ومن الروحانيات - في نظريهم - مَنْ يختصُّ بتدبيرِ الكواكبِ السبعةِ السيارةِ في أفلاكها ، ومنها مَنْ يختصُّ بتدبيرِ الظواهرِ الجويةِ - العلويةِ والسفليةِ - كالرعدِ والبرقِ والمطرِ وقوسِ قزح ، والزلازلِ والبراكينِ والأبخرَةِ الصاعدةِ ونحو ذلك . ومنها متوسِّطاتُ القوىِ الساريةِ في جميعِ الموجوداتِ ، ومدبراتُ الهدايةِ الشائعةِ في جميعِ الكائناتِ ؛ بحيثُ لا يوجدُ في الكونِ كلُّ شيءٍ بخَلو من تأثيرِ قُوَّتها .

أمَّا الحالةُ ؛ فأحوالُ الروحانياتِ من الروحِ والريحانِ والنعمَةِ واللذَّةِ والراحةِ والبهجةِ والسرورِ ، ونحو ذلك من القيامِ والقعودِ والركوعِ والسجودِ .. كلُّ هذه الأحوالِ لا تُبدِّلُ الحالةَ التي عليها الروحانيُّ من البهجةِ واللذَّةِ والسرورِ ؛ لأنهم في جوارِ ربِّ الأربابِ<sup>(١)</sup> ، أو ملئوا النورِ السَّامي - كما يردُّ في "الكترا رتا" .

ولا شكَّ في أنَّ هذا الاعتقادَ لا يتنافى مع اعتقادِ المسلمين في الملائكة ، إلَّا في المُهمَّةِ أو الوظيفةِ المنوطةِ بهم . فالملائكةُ - في نظيرِ الإسلامِ - مخلوقاتٌ موكَّلةٌ بأمرٍ مُعيَّنة لا تتجاوزُها ، ولا يمكنها أن تأتي بأفعالٍ الخلقِ والإيجادِ والتدبيرِ ونحو ذلك من الأفعالِ التي لا تُنسبُ إلَّا لله تعالى وحده .

(١) راجع الملل والنحل ٢ : ٣٠٨ - ٣١١ بصرف .

أما المندائية ، فإنها تُعطي للروحانيين ذوراً أعظم يتجاوز طبيعتهم التي جُلبت على العبادة والطاعة وعلم العصيان ، إلى أن يصيروا مُحَكِّمِينَ في الكون كله - العلوي والسفلي - من تلقاء أنفسهم ، وإن ادَّعَوْا أن ذلك بتفويض إلهي<sup>(١)</sup> !

وأعظم هؤلاء الروحانيين ، هو "هيل زيو" - أو جبرائيل - الذي يُعدُّ في عقيدتهم الكائن الإلهي الأكثر اتصالاً بهذا العالم الماديّ أو عالم "اللا حقيقة" ؛ فهو خالق هذا العالم المظلم المسمى "أرا ذ نوال" ، وأيضاً خالق عالم النور المسمى "مَشُونِي كُشْطَه" .

والعالم المظلم هو العالم العلويُّ أو المُشاهد . أما عالم النور فهو العالم السريُّ أو الخفيُّ ؛ وهو عالم فسبح أكثر من العالم العلوي الذي هو عالمنا المسكون ، لكنه مستورٌ عنا ، ولا يمكننا مشاهدته ، وهو بالنسبة لعالمنا بمنزلة اليمين من الشمال .

وسكان هذا العالم للمستور بشرٌ مثلنا ، لكنهم صابئة مُزَّهون عن الخطايا والذنوب ، يجري عليهم الموت والفناء - كسكان العالم العلوي - إلا أنهم بعد موتهم يتقلَّبون إلى عالم آخر يُسمى "آلي ذ هورو" - أي عالم الأنوار أو مقام النعيم - من غير أن يمروا بموضع من مواضع العذاب . وهذا ما يُقابل عالم الأرواح في نظر المُسلمين<sup>(٢)</sup> .

والحق أن عقيدة المندائية في الملائكة ، يشوبها غموضٌ كبيرٌ ، وتحيطُ بها أساطيرٌ كثيرةٌ . وقد أشارت "الليدي دراور" ، إلى ذلك وعرضت الكثير من تلك الأساطير ، في ملحقٍ خاصٍّ من كتابها "مندائيو العراق وإيران : عقائدهم وعاداتهم وأساطيرهم وآدابهم"<sup>(٣)</sup> ، وذكرت فيه أنها نقلت تلك الأساطير عن

<sup>(١)</sup> راجع الصابئة قلباً وحدثاً ص ١٦ وما بعدها .

<sup>(٢)</sup> راجع السابق ص ٣١ .

<sup>(٣)</sup> حمل عنوانه بالإنجليزية : Drower (E.Stevens) : The Mandaens of Iraq and Iran, Their cults. customs, magic legends and folklore, oxford: clarendon press 1937.

"غضبان رومي" ، تحت عنوان : الصابئة للمندائيون . وطبعته لأول مرة بالعربية ، مطبعة الإرشاد بغداد سنة ١٩٦٩ م . إلا أن المترجمين - وهما من أعلام الطائفة المندائية - أحجما عن ترجمة الملحق الخاص بالأساطير ، مما حدا بالأستاذ "محمد الحاج سالم" أن يقوم بترجمته ، بمشاركة الأستاذة "أمينة جبلاوي" ؛ تحت عنوان : "أسطورة الخلق في مرويات الصابئة للمندائية" ، وهو منشور في مجلة "الف" المصادرة في سوريا - عدد ديسمبر ٢٠٠٩ م .



شخص مندائي يُدعى "هرمز بر أهر" ينتمي إلى أسرة كهنوتية ؛ حيث كان جدّه يشغل درجة "كسزفرة" في الديانة المندائية<sup>(١)</sup>.

هذا الملحق تضمّن أساطير الخلق والطوفان عند الصابئة ، كما تضمّن إشارات إلى الملائكة بوصفها الأرواح الساكنة في الكواكب والنجوم ، والمتحكّمة في مصائر العالم..

ولعلّ الخوف من اتهام المسلمين لهم بعبادة الكواكب والنجوم - ومن ثمّ مطاردتهم باعتبارهم طائفة وثنية - هو الذي جعل المترجمين لكتاب "دراور" يُحجمان عن ترجمة ذلك الملحق ، أو الإشارة إليه !

تلخيص ما نسب للملائكة من أساطير أوردها هذا الملحق<sup>(٢)</sup> :

— أولاً : يعتقد المندائيون ، أنّ ملك الضياء "ملكاً زبراً" لما ظهر إلى الوجود ، خلق خمسة كائنات من نور وخمسة من ظلام . وأنّ لكل شيء ضيداً ؛ فاليمين مقابل اليسار ، والشق الأيسر من كل شيء هو الأضعف ويُمثّل "الظلام" .

<sup>(١)</sup> درجات الكهنوت المندائي خمس ، يمكن للمندائي التدرج فيها حسب استعداداته وطبقاً لمراسم خاصة :

١- الخلاي ، ويسمى الشمس أو "الشكندا" ؛ وهو المساعد الديني لرجل الدين ، وبدونه لا يتم أي طقس ديني كبير .

٢- الترميذا : وهي درجة أعلى من السابقة ؛ يناها الشخص الذي يفقه كتابين مقدسين ؛ هما : "سدراد نشمتا" - أي كتاب النفس - و"أنياني" - أي كتاب الأذكار - مع حفظ القسم الأكبر منهما . ووظيفته الترميذا هي القيام بعملية التعميد وأداء المراسم الدينية لعامة الطائفة وتنقيتهم وتعليمهم .

٣- الكزفرة أو الكزبرا : ومعناه "ابن الكثر" ؛ وهو العالم بأمور الكتاب المقدس للطائفة من تشريع وتفسير.. وهو المسئول عن أداء كافة الطقوس الدينية ؛ مثل الزواج وغيرها .

٤- الريشما : وهو رئيس الأمة ؛ ويوجد شخص واحد فقط بهذه الدرجة ، وهو رئيس الطائفة الروحي .

٥- الربّي أو الرباني : أي معلم الحق ؛ وهذه الدرجة لا يمكن أن يصلها أحد إلا باختيار إلهي ؛ والربّي بمثابة النبي أو المشرع لأمر الدين ، وأن آخر إنسان وصلها - بحسب اعتقادهم - هو "يوحنا المعمدان" .

[ راجع: الصابئة قديماً وحديثاً ص ٤٩ وما بعدها. وراجع ناجية مراني: مفاهيم صابئة مندائية، ط سنة ١٩٨١م

بغداد. د. قيس مقشعش السعدي: معجم المفردات المندائية في العامية العراقية ط ٢٠٠٨ م ] .

<sup>(٢)</sup> اعتمدنا في إيراد تلك الأساطير - بصرف - على ترجمة أ. محمد الحاج سالم ، أ. أمنة جلاوي. (سابق) .

ويعتقدون أن "مهلكاً زيو" هذا ، هو أصل كل شيء ؛ منه تنبع أشعة النور والحياة ، ويمد الشمس - أو "شامس" بلغتهم - والكواكب من خلال أربعة ملائكة يسكنون كجيمة "الشعري" ؛ وهم : أرحوم حي<sup>(١)</sup> ، عين حي<sup>(٢)</sup> ، زيو حي<sup>(٣)</sup> ، شوم حي أو سام حي<sup>(٤)</sup> . ومن هؤلاء الأربعة جاءت قوة "شامس" وحياته .

— ثانياً : يعتقد المندائيون أن الخالق الأعظم "هيي" ، قد فوض حكم العالم المادي وجميع ما يتعلق بمخلوقاته إلى مساعديه من الملائكة ؛ وأهمهم هم "مارا ذ ربونا" - أو رب العظمة ، لكن كما ذكرنا ، فإن "هيل زيو" يعد الملاك الأكثر اتصالاً بهذا العالم .

وتتجلى قوة "هيل زيو" عند المندائيين - كما جاء في أساطيرهم - في أنه أحضر امرأة تسمى "روحياً" ، من الأرض السابعة - من عالم الظلمة السفلي - وكانت حاملاً . وصعد بها إلى الأرض الأولى حيث تركها عائداً إلى "مشوي كسطه" - عالم النور - ليعلم ما قام به . وفي أثناء غيابه - الذي دام آلاف السنين - أنجبت "روحياً" مسخاً ضخماً اسمه "عور"<sup>(٥)</sup> . وما إن نزل من بطن أمه حتى سأله: لماذا نحن وحدنا في هذا العالم ؟ فأجابته بأن والدته كان ملاكاً اسمه "أشئوم" ، وأن له كثيراً من الأقارب من بين الملائكة .

وقد كان "عور" بالغ الضخامة ، فصاح صيحة اهتزت لها عوالم الثور ، وعندها نزل "هيل زيو" من "مشوي كسطه" ليجد أن "روحياً" قد أعطت ابنها "عور" منظاراً يطالع من خلاله آفاريته في عالم الثور .

وبما أن "هيل زيو" كان يلبس قناعاً طلسعياً يخفيه عن الأنظار ، فقد تمكن من أخذ المنظار من "عور" دون أن يحس به ، ثم قبض عليه وسجنه أسفل "أرا ذ نحشا" - أي أرض

(١) أي حب الحياة .

(٢) أي منبع الحياة .

(٣) أي يمد الله .

(٤) أي اسم الحياة .

(٥) وهو - كما في أساطيرهم - انصبان الضخم لو تبن العالم السفلي الذي يحمل العالم المادي ؛ أي السماوات السبع فوقه وعوالم الظلمة السبعة تحته . وهو يطلق من فمه ريحاً نارية ، وحوافه مرّة من نار و مرّة من تلج !

التحسّاس<sup>(١)</sup> - بحيث كانت العوالم الطّبيعية السّبعة قوّته . وهناك لحقت به أمّه لتصير زوجته وتنجب منه سبعة أبناء ؛ أسكن "هيل زيو" كلاً منهم كوكباً . فالكواكب السّبعة من خلق الله ، وفي كلّ منها روح . وأسماء هذه الكواكب هي : شامش (الشمس) ، سين - أو سيرك (القمر) ، نيرغ (الريخ) ، بل (المشتري) ، أنور (عطارد) ، لبيات (الزهرة) ، كيوان (زحل) . ثمّ أنجبت في البطن الثانية البروج الفلكية . إنّ الكواكب هي التي تتحكّم في عالم الظّلمات هذا ؛ فـ "نيرغ" هو الموكل بالحرب ، و"أنور" بالمعرفة والحكمة ، و"لبيات" بالحبّ والإبداع . فالكواكب هي بمثابة المراكب التي يقودها الملائكة . وفي قارب «شامش» رائة يخرج منها نور الإله ؛ لأنها تعكس أشعته كي تضيء العالم . هكذا نشأ عالم النور وعالم الظّلمة ، عالم الحقيقة وعالم الباطل .

ثالثاً : يعتقد المندائيون أنّ الملائكة هي التي خلقت "آدم" وحواء الحقيقيين ؛ حيث تُروى "أسطورة الخلق" أنّ "بشاهيل" ابن "هيل زيو" ، قد قام - بأمر من والده - بشقّ السماء ، وجعل الأرض رطبة وأجرى فيها العيون والأنهار ، وأرسيّ الجبال ، وخلق السماك والعصافير والأزهار وبنورها وجميع الحيوانات من أجل "آدم" وذريته . وحين نظرت "بشاهيل" - زوجة هيل زيو - وابنتها "بشاهيل" إلى حسدّيهما بتفكير ، نشأ حسدّ "آدم بغرا" - آدم الطّبيعي - وخلقت من ضلوعه زوجته "حواء" . ومثلما كان هناك "آدم بغرا" و"حواء بغرا" ، كان أيضاً "آدم كسما" و"حواء كسما" - أي آدم وحواء الخفيّان - وهما وذريتهما عمّروا عالم "مشوني كسطه" - أي عالم النور - وأنجبوا المندائيين ؛ الذين هم أبناء "آدم بغرا" و"حواء كسما" . وقد تزوّج آدم امرأة من عالم الظلام ، وخلفوا أبناء السّواد - أي من ليسوا مندائيين !

(١) جاء في "ديوان أبتر" أنّ طبقات "عالم الظلام" ست : الأولى من نحاس ، والثانية من حديد ، وأخرى من قصدير ، وأخرى من فولاذ ، وأخرى من فضة . ويفسر "الكروا ربا" أنّ المقصود من الطبقة الأولى هي الطبقة السفلى ، ويرتبها على التوالي : نحاس ، حديد ، نحاس أصفر ، فولاذ ، ذهب ، فضة ، تراب .

- و"ديوان أبتر" : هو كتاب مندائي يصف رحلة النفس في صعودها إلى السماء بعد الوفاة ومرورها في نقاط الحساب ، وقد ترجمته "دراور" إلى الإنجليزيّة ونشرته عام ١٩٥٠ م . راجع : أصول الصابغة ص ١٥ .

- و"أبتر" هذا ، هو "أبتر موزانيا" : أحد ملائكة عوالم النور ، والذي يلقب بأنه "صاحب الليزان" ، وهو للسّتون عن المكان الذي توزن فيه الأنفس البشرية عند معراجها إلى بارها ، وتحديد طالعها وصالحها ؛ فهو يزن الأنفس مقابل نفس الأب "شيتل" باعتبارها عند المندائية أنقى الأنفس البشرية . أما مكان هذا الملاك ، فهو يسكن في الشمال ، عند بوابة الحياة أو الحي ، ويوصف بعدة صفات منها "الأول ، الحارس ، الخفي" .

— رابعاً : يعتقد المندائيون أن الإنسان في خلقه الأول كان يمشي على أربع ، وله وجهٌ قرْدٍ، وأنَّ الروحَ في بادئ الأمرِ رفضت سكْنى جسده ؛ لأنها اعتبرت بيت الفساد ! ثم عادت وقبِلت سكناه بعدما وعدا "هيبيل زيو" بتحقيق شَرْطِها ؛ بأن جعل في هذا العالم المادي مثيلاً لما في عالم النور .. تقول الأسطورة : " حاولت "روحا" أن تصنع مخلوقاً بمعية "بناهيل" ، وحين انتهيا كان شبهما بالإنسان ، غير أنه كان يمشي على أربع وله وجهٌ قِرْدٍ ويصدر أصواتاً كأنها هو نعجة . لم يفهما الأمر ، وذهبا إلى "بيت الحي" يشكوان فشلهما ، فقال لهما: سوف أرسل إليكما "هيبيل زيو" ، فجاءهما وكانت الروحُ في يده . وحين رأت الروحُ "آدم" انزعجت وقالت مذعورة : كيف ؟ هل سأقيم في هذا اللحم والدم ، بيت الفساد هذا ؟ فقال "هيبيل زيو" : هل ترفضين أمر بيت الحي ؟ قالت الروحُ : لن أقبل بالأمر إلا إذا تحققت شرطي ؛ وهو أن يوجد في هذا العالم مثيل لجميع ما في عالم التور : من أزهار وأشجار ونورٍ وأيارٍ "الهواء الصافي" وماءٍ جارٍ "يَرْدْنَا" وتعميدٍ وكهنة ، وكل شيء كما في العالم العلوي . وعاد "هيبيل زيو" فأبلغ "بيت الحي" .. ولم يفتح ( باب عاله ) ، لكنه تكلم ووعد أن "بيت الحي" سيمنح الروحُ كل ما طلبت . وهكذا دخلت الروحُ "نيشمتا" — أي دخلت جسد آدم — ، فقام وتكلم . ثم علّمه "هيبيل زيو" القراءة والكتابة ، وطريقة التزاوج ودفن الأموات وذبح الأصاحي ، ولقنه جميع العلوم . وقد شهدت "الروحا" ذلك وتمتدح لو كان لها نسلٌ من صلبها ، لو كان لها ذريةٌ وأهل ؛ لهذا أخذت "الروحا" شاةً فنحرها وصنعت من جلدها طَبَلًا ومن عظامها مزمارًا ، ثم غنّت ورقصت مع أبنائها السبعة — الكواكب — وذهبت إلى "آدم بن آدم" وقالت له : تعال وسلّ نفسك معنا . وكان سبق أن جعلت "نبيات" — الزهرة — نفسها تبدو امرأة جميلة ، فأخذها "آدم بن آدم" وأصبح أباً لطفيل . وكذلك فعلت "الروحا" ، فقد تنكرت بدورها في شكل "حواء" وذهبت إلى آدم ؛ فذهب معها إلى الماء — أي للاغتسال بعد المعاشرة — وحين لاموه بعد ذلك قاتلت : ألم ترَ كيف كانت ضحمة في الماء ؟ <sup>(١)</sup> ، أجاب بأنه لم يفتن لذلك لأنها سحرته . إن اليهود هم أبناء "الروحا" و"آدم" ، كان رجالهم العظامُ أبناء "الروحا" ؛ فـ "موسى" هو "كيوان" — زحل — و"إبراهيم" هو "شامش" — الشمس — و لقد سافر اليهود طويلاً إلى أن وصلوا إلى

(١) الروي كاهن مندائي ، إلا أن روايته لا تستند إلى أية مرجعية ؛ فهو يصور "حواء" ضحمة الجسم كما تصورها للمورنات الشعبية العربية . وتوجد رواية أخرى لقصة الروح — عن هرمز — جاء فيها : إن أشجار وثمار عالم النور تشبه تلك التي نجدها على الأرض . وعندما أخذت الروح من "ملكاً زيو" — ملك النور — وكانت مثل كرة من نور ، حملها "هيبيل زيو" بين يديه إلى "آدم" ؛ وحينها بكت قائلة : لماذا تحملني إلى مملكة الظلمة ؟ لن أذهب . فقال : إنه أمر الله ، يجب أن أخذك ، ولكن سيكون على الأرض أشجار وثمار وثمار كما في عالم النور . [ راجع ترجمة الأسطورة والتعليق عليها ، للأستاذ : محمد الحاج سالم ، وآمنة جلاوي ( سابق ) ] .

"أورشليم" — القدس — وقد سَمَّوها "أهور شالام"؛ بمعنى "الطريق اكتملت". وقد أُرَادُوا الحصولَ على كتب فقال "بَلْكَ د نُهَورا": يجب أن يُكْتَبَ كِتَابٌ لا يوقع الشَّقَاقُ في صفوفِ المندائين<sup>(١)</sup>. وأرسلَ مَلَكًا هو "طاووس مَلَكًا" لِيَكْتُبَ التَّوْرَةَ — العهد القديم —. وبما أَنَّهُ لم يكن لليهود كَهَنَةٌ، فقد أَلْقَى "أَنشُ إَنرَا" — أو أنوش أُنرَا — نُطْقَةً في نهر الأردن، وحين شربت منه امرأةٌ يهوديَّةٌ حَمَلَتْ وأنجبتُ في الحينِ ثلاثاً وخمسة وستين كاهناً<sup>(٢)</sup>. كما شربت "إينوش في" أيضاً من ذلك الماء وأنجبت بعلها "يحيى". وقد عُمِدَ جميع الرجال الذين ولدوا من تلك البَذْرَةِ الَّتِي زُرِعَتْ في نهر الأردن<sup>(٣)</sup>، وغَنَوُا كَهَنَةً "إِه—".

تلك عقيدة المندائية في الملائكة، وهي — كما رأينا — ليست صافية، وإنما تلبستُ بها كثيرٌ من الأساطير والحكايات الخيالية؛ ولم تضع الملائكة الذين هم مخلوقات مأمورة بأفعال معينة، في الموضع اللائق بهم، وإنما نسبت إليهم أفعالاً إلهية مُحَضَّةً، مما يُشككُ في صِدْقِ دعوى "التوحيد" التي يدَّعيها علماء الطائفة والمنتسبون إليها.

### ● عقيدة المندائية في اليوم الآخر :

يعتقد المندائية في أن للحياة دورةً وتنتهي، ويعقبها يومٌ تُحاسبُ فيه النفوسُ — لا الأحساد ولا الأرواح — فقد جاء في تراثهم أن النفس "نشمتا" موجودة فقط في الإنسان وحده من دون المخلوقات الأخرى. وهي التي جلبها الملاك "هيل زبوا" بمساعدة ثلاثة من الأتريين — أو الروحانيين — إلى الإنسان، من "بيت هيي" أو ملكوت الحي أو بيت الله.

هذه النفس سترجع مرةً أخرى إلى "بيت هيي"، لكن بعد إتمام دورتها في الحياة الطبيعية. وفي أثناء مغراجها إلى السماء، ستمرُّ على أماكنٍ مُعدَّةٍ للحساب تُسمى "مطرائي"؛ تُنقى فيها من الأعمال الباطلة التي لحقت بها أثناء وجودها الغريب في هذا العالم الأرضي.

(١) وفي ذلك دلالة على أن المندائين كانوا يستعطفون اليهود خوفاً من اضطهادهم.

(٢) هناك تضارب في إيراد هذا العدد؛ فمرة يرد ليدل على عدد الملائكة، ومرة يقولون إنه يشير إلى أيام السنة المندائية، والآن يشير إلى عدد معين من كهنة اليهود!

(٣) لا شك في أن ورود اسم "أور شاليم" و"نهر الأردن"، دليلاً آخر على أن المنشأ الأول للمندائية كان في فلسطين وعلى ضفاف نهر الأردن.

ولا قيمة لهذا الجسد ، أو للروح السارية فيه ؛ فكلاهما سيئ ، ولن يبقى في الحياة الخالدة إلا النفس فقط .. وهي عند المندائية تعني "العقل" :

فالجسد \_ الذي يسمى "بغرا" \_ يمثل الجزء المادي ، أو هو وعاء النفس والروح ؛ وهو فاني لأنه مخلوق من الطين ، وليس له ولا للدماء السارية فيه أية أهمية أو قدسية في المنظور المندائي حال وفاة صاحبه . وكذلك الروح "روها" لا قيمة لها أيضاً ؛ لأنها تمثل المركات والغرائز وكافة الطاقات في الإنسان ؛ وكل ذلك لن يبقى إذا انتهى عمر صاحبه .

أما النفس ، فهي النعمة الطاهرة من الخلق ، والضمير النقي في الإنسان ؛ وهي لذلك مقدسة وغير قابلة للزوال بعد وفاة صاحبه ، وإنما تنتقل من هذا العالم المادي "أرا ذ تيوال" إلى عوالم الأنوار "مشوني كسطه" ، أو إلى الجنة "ألمى ذ هورا" .

فالنفس والروح مصطلحان مختلفان في الديانة المندائية ، ويعتقدون أن بينهما صراعاً كبيراً ؛ حيث تمثل الأولى الطهر والنقاء والخلود ، بينما تمثل الأخرى الغرائز والشهوات الجسدية . والأولى تجتهد في الحد من نشاط الأخرى ؛ وهذه وظيفتها الأساسية ، فإن فشلت فيها فستحاسب في محطّات الحساب "مطراي" أو "مطرائه" \_ كما ذكرنا .

وهناك نصوص كثيرة في كتابهم المقدس \_ "كترارتا" \_ تتناول جانباً من ذلك الصراع ، لكن بعد الموت وأثناء صعودهما إلى ملكوت السماء ؛ تقتطف نصاً واحداً منها :

"صرخة ، صرختان اثنتان ، إلهما معاً جالستان ، تبيان وتعلمان : الروح ونشمتا ( النفس ) ؛ الروح تقول لنشمتا : بجاتك يا أختاه ، بحياة كل تلك السنين .. تخدني معك حين تنطلقين . كيف آخذك نعي<sup>(١)</sup> إلى من أدق بابه وأنت روح كذابة ؟ إنك يا أختاه تكدين .. أنت لا ترين وتكذبين ، وصاحب الميزان<sup>(٢)</sup> الذي لا يحابي إنساناً ، والذي يزن الأعمال ويرفعها إلى الديان ، كيف أوصلك إليه ، كيف أذكلك عليه ؟ إنه يصعد الكامل لكمالهِ ، ويُنسك بالناقص لسوء أعمالهِ .. فكيف أخرج بك من أقالهِ ؟"<sup>(٣)</sup>

(١) رد النفس عليها .

(٢) وهو لللاك "أباثر موزانيا" للوكل بالحساب .

(٣) كترارتا اليسار \_ التسيح الخامس والعشرون .

فالموتُ في الديانة المندائية ، هو تحرُّرٌ وانعتاقٌ وعودةٌ إلى عالم الأنوارِ والخلودِ الأبديِّ ؛ وهذا تشتركُ فيه الدياناتُ السماويةُ جميعاً . لكنَّ روحَ الأسطورة تظلُّ السائدة في عقيدة الموتِ وما بعد الموتِ عند المندائية .

إنَّ النفسَ — في عقيدتهم — تظلُّ بعدَ الموتِ ثلاثةَ أيامٍ تردُّدٌ بين القبرِ والبيتِ ، قبلَ بدءِ رحلتها نحو السماء ؛ لتصلَ إلى محطاتِ الحسابِ والتطهيرِ من الذنوبِ . وفي محطةِ الحسابِ "مطرائي" ، يسألها للملائكة الموكلون — برئاسة ملاك الميزانِ والمعرفة "أباثر موزاتيا" — لمعرفةَ درجةِ تقايتها مقارنةً ببقاءِ نفسِ "شيث" — أو شيتل بن آدم — فإن ماثلتها ، مرَّتْ بسلامٍ عبرَ المطاهرِ أو المحطاتِ المُعلَّية للحسابِ ؛ لتصلَ إلى عالمِ الأنوارِ . أمَّا إن كانت مُثقلةً بالأعمالِ الباطلةِ ، فستُعاني كثيراً حتى تنطهرَ ، ثم تصلُ بعدَ ذلك إلى العالمِ المنشود<sup>(١)</sup> !

والنفسُ عند المندائية لن تعودَ إلى جسديها بعدَ الموتِ ؛ لأنَّ الجسدَ من بقايا عالمِ الظلامِ أو العالمِ الأرضيِّ ، وليس من مادةِ عالمِ النورِ حتى تُسكنه النفسُ مرةً أخرى . يقولُ "كترا ربا" في هذا الشأنِ : "بسم الحي العظيم... اسمع صوتَ نفسٍ ما وهي تخرجُ من جسدِ الحرمانِ : من داخلِ هذا العالمِ خرجتُ . اسمعها تقول : عاريةً أتيتُ إلى هذا العالمِ ، فارغةً منه أخرجوني مثلَ عُصفورٍ لم يرافقه شيءٌ . ثم التفتتُ إلى الهيكلِ الذي منه خرجتُ : ماذا أفعلُ بك يا جسدي الباقي في هذا العالمِ ؟ ماذا أفعلُ بك ؟ يا جمالَ جسدي الذي سيأكلك في القبرِ الدودُ .. ماذا أفعلُ بك ؟ يا قميصَ الورْدِ ماذا أفعلُ بك ؟ لو كنتُ ثوبَ ضياءٍ ونورٍ لبسك جسدي ، ولصعدتُ معي إلى بيتِ هبي (الحي) .. لو كنتُ إكليلَ ضياءٍ ونورٍ لضفرتك على رأسي ، ولصعدتُ معي إلى بيتِ هبي .. ماذا أفعلُ بك يا جسدي وأنت من طينٍ جيلتُ ؟"<sup>(٢)</sup> .

إذن ، فالمندائية تؤمنُ بالحياةِ الآخرةَ ، لكن بتصورٍ يخالف ما يعتقده المسلمون ؛ ذلك أن الثوابَ والعقابَ يجريان عند المندائية قبلَ يومِ الميعادِ ، أما يومُ الميعادِ فهو نعيمٌ فقط لكلِّ النفوسِ المندائية — بعدما تطهَّرتْ صاحبةُ الأعمالِ الباطلةِ منها في محطاتِ الحسابِ — بينما في الإسلامِ يكونُ الثوابُ والعقابُ في أولِ منازلِ الآخرةِ — وهو عالمُ البرزخِ — وأيضاً في يومِ الميعادِ .

(١) راجع مقال: سميع داود ، بعنوان: "اتوحيد الصاهي المندائي وعلاقته بالديانات الموحدة" — منشور بمجلة اتحاد الجمعيات

المندائية في المهرج بكندا ، عدد مارس سنة ٢٠٠٦ م .

(٢) كترا ربا اليسار — انتسبح الثامن والثلاثون .

لكن ، تبقى صورة تردّد النفس بعد موت صاحبها بين القبر وبينه مدّة ثلاثة أيام قبل صعودها إلى السماء ؛ فإن هذه الصورة هي نفسها الصورة الموجودة في الديانة البابلية القديمة ؛ كما لاحظ ذلك المنكر المندائي "عزيز سباهي" ، عندما عقد مقارنة بين منازل الآخرة في الديانتين وقال : "نفس الصورة تقريباً يجلدها المرء لدى البابليين ؛ فروح الميت عندهم تبقى نحو ثلاثة أيام بعد إيلاع جثمانه في القبر . بعدها تبدأ الرحلة إلى ما وراء العالم ، وتجري مُحاسبة الروح على يد ( مِثرا ) ، ومن ثم على يد ( راشنو )<sup>(١)</sup> الذي يتولّى وزن أعمال الميت الحسنة والشريرة . وحتى إذا مال الميزان نحو الخير فلا زال أمام الروح البابلية أن تُقلّم ( كفارة ) عن الذنوب ولطلب الرحمة . وهذا ما يُقابل ( المِسختا )<sup>(٢)</sup> التي تُقام للنفس المندائية للغرض ذاته . أما من تقلّت موازينه ، فالجِسْر الذي يتعيّن اجتيازُه في الحالين يغلو دقيقاً كالشعيرة ؛ قد تسقط منه إلى هاوية لا قرار لها"<sup>(٣)</sup> .

وهذا يُعطي دليلاً آخر على أن المندائية ، استملت بعض عقائدها من أديان المنطقة وأساطيرهم .

(١) "مِثرا" و"راشنو" : من آلهة البابليين القدماء .

(٢) للمِسختا : طقس عبادي عبارة عن امتحان ، يتوجب على كل مرشح للكهانة أن يجتازه أولاً . ولابد أن يمكث مدة سبعة أيام تبدأ من يوم السبت ، يتدرب فيه على طقوس الديانة وعقائدها على يد كهنة كبار ، ثم يمكث وحده مدة ستين يوماً للصلاة والعبادة المنفردة قبل أن يعقد له الامتحان أو طقوس "المِسختا" .

(٣) انظر: أصول الصابئة ص ٦٨ ( سابق ) .



## المبحث الثالث:

### الطقوس الدينية للصائبة المندائية

للمندائية طقوس خاصة في عباداتها وأعيادها وذبائحها وزواج أبنائها ونحو ذلك ، كسائر الديانات الأخرى . لكن ربما تفرّد المندائية بكثرة الرموز والإشارات - أو المعاني - في طقوسها الدينية ؛ تُشير إلى بعض منها بشيء من الاختصار :

- **نظافة البدن :** حيث يتوجّب على المندائي القيام ببعض الشعائر قبل الدخول في طقس الصلاة ، وأهمها شعائر النظافة ؛ وهي :

(١) **المصبتا :** وتعني الصباغة أو الانغماس في الماء الجاري . ولا يُعتبر الرجل مندائياً إذا لم يُمارس هذا الطقس ؛ فهو أهم طقس ديني لدى المندائية ، ويمثّل العمود الفقري للديانة . وهذا الطقس يُعدّ هيئة روحية تُدخل للمندائي في مرحلة جديدة من التكوين النفسي . لذلك يُعَيّن المندائي قبل ممارسة هذا الطقس التوبة الصادقة ؛ حتى ينال أسرار "المصبتا" ، وإلا فإن تعميدَه لا يُساوي شيئاً .

وعملية خلع ثياب "التعمّد" ، ترمز عندهم إلى خلع الإنسان القديم مادياً وروحياً . وتغيير الملابس يعني انتقال التعميد من حالة دنوية إلى حالة دينية مقدّسة . وليس الثياب الأبيض المعروف لديهم بـ "الرسته" ترمز إلى النقاء والطهارة والنور الذي سيناله بعد مراسم التعميد ، كما يرمز إلى الكمن الذي يُذكر المندائي بأنه على استعداد دائم لأن يُعيت ماضيه وحياته السابقة ، ويدخل في تكوين ولادته الجديدة كإنسان مندائي<sup>(١)</sup> .

### والتعميد (أو المصبتا) عند المندائية ، أربعة أنواع :

**الأول :** عماد الزواج ؛ حيث تجري مراسم الزواج المندائي في الماء الجاري "يردنا" ؛ الذي هو أسس الحياة في نظرهم .

**الثاني :** عماد الولادة ؛ حتى يصبح المولود طاهراً . فإذا وُلِدَ مولود ، وجب على أبويه أن يُخيرا الكاهن أو الترميزا ؛ ليحنّد للمولود الزمان والمكان والنجم والطالع والبرج والمزلة التي وُلِدَ فيها.. وبعد

(١) راجع "معاني بعض رموز المصبتا (التعميد المندائي) الخاصة بالمصطليخ (التعميد)" - مقال للترميزه بهانا النشمي ،

منشور في مجلة اتحاد الجمعيات للمندائية في الهرج ، كندا (سابق) .

اختبار طالع المولود ، يختار له اسماً يدل على بُرْحه ومولته السماوية . ويكون للمولود اسمان ؛ أحدهما باللغة المندائية - ويُطلق على هذا الطقْس "الملواشة" - والآخر باسم البيئة المولود فيها ؛ فالمندائي العربي له اسم معروف به في الوسط المندائي وآخر يناسب المجتمع العربي الذي يعيش فيه ، وكذلك بالنسبة للمندائي الأوروبي ، وهكذا . وبعد مرور أربعين يوماً على ولادة الطفل المندائي ، يُعمد في الماء الجاري ويُقرأ على رأسه أذكارٌ معينة من قبل الكاهن .

**الثالث : عماد الجنابة ؛** حيث يُنجس المندائي بالجنابة ؛ مما يتوجب عليه الانغماس في الماء الجاري . كما يُصيه ما يشبه الجنابة التي تستوجب الغسل ، إذا لمس ميتاً أو حائضاً أو قُتسأ أو دم حيوانٍ مذبح على غير شريعتهم ، أو إذا لدغ من الحية أو لسع من العقرب أو غيرها من الهوام .

**الرابع : عماد الجماعة ؛** ويكون في أيام عيد "البنجه" - أو كما يُسمونه "اذ هو برونايا" - ويستغرق خمسة أيام ، ويكون بين شهري "ديسمبر" أو "أبريل" . وأيام البنجه مقدسة عندهم ، لا فرق فيها بين الليل والنهار . والتعميد فيها يشمل الرجال والنساء على حدٍ سواء . وفي هذه الأيام يقوم المندائيون بذبيح الأضاحي ترحماً على موتاهم ، وصنع الطعام - الذي يُسمونه "لوفاني" - ويمتنعون بشدة عن القيام بأي عملٍ مشين ، مع عقد العزم على أداء الأعمال الخيرة .

(٢) **الرشامة :** وهي شعيرة رئيسية من شعائر الدين المندائي ، ويُراد بها تطهير الإنسان قبل "الراحة" - الصلاة - أو قبل الدخول في الطقوس الدينية الأخرى . والرشامة كالوضوء في الصلاة ، حيث يجلس المندائي على ضفة النهر ويتلو الرخصة - التية - باللغة المندائية ، ثم يغسل يديه حتى المرفقين ، ويعقبها بغسل وجهه ثم ركبته - كل ذلك ثلاثاً - ثم يمسح جبينه وأذنيه وأنفه مع تلاوة أدعية خاصة ، ثم يدخل رجله اليمنى في الماء ثم اليسرى ؛ ويتلو خلال ذلك هذا الدعاء : "بشمهوني أو هي بولي أسوتا فويلك يا أب أبوهن ملكا مير يابوس يردنا ربنا آذ مياهي" ؛ ومعناه : "السلام عليك أيها الماء الجاري من تحت عرش الرب الذي يُحيي بك كل من في الأرض"<sup>(١)</sup>.

(١) راجع الصابئة قديماً وحديثاً ص ٤١ .

(٣) من الشعائر التي تلي الرشامة، شعيرة "الراحة" وتعني "التبريكات" والسجود لـ "هي" أو للحي العظيم . وتبدأ طُقوسُ الراحة بوقوف المصلّي باتجاه الشمال - حيث النجم القطبي - وعليه الاختاءُ كلما ذكرَ كلماتٍ : "إِكا هي . إكا ماري . إكا مندا ذُهي" ؛ ومعناها : "الحيُّ موجودٌ . الربُّ موجودٌ . عارفُ الحياة والعليمُ موجودٌ" . وتستمرُّ هذه التراتيلُ إلى أن تنتهي بالسلام على الملائكة والآباء القُلمى للديانة ؛ ومنهم آدمُ وشيثُ ويحيى "أو يوحنا المعمدان" (١) .

(٤) الطماشه ؛ وهي أبسطُ أنواع النظافة الشخصية ، يُمارسُها المندائيُّ بشكلٍ مُستمرٍّ بعدَ "الجماع" . والنصوصُ الدينية تدعو صراحةً لممارسة هذا الطقُس بعدَ الممارسة الجنسية ؛ كما جاءَ في كتاب "دراشه ذُ بهيا" - أو تعاليم يحيى - ما نصّه : "إذا اقترتم من زوجاتكم فطهروا بالماء ، اسكبوه فوقكم ، واغسلوا جيداً ؛ فلو بقيت شعرةٌ واحدةٌ غيرُ طاهرةٍ لن تنظهروا" (٢) . ويقولُ أيضاً : "المرأة التي يغشاه زوجها وهي غيرُ طاهرة ، يُلقى عليها إزارٌ مُعزقٌ . والتي يقربها زوجها وهي غيرُ نظيفةٍ تلدُ ابناً ميتاً . أمّا التي علقتَ بها نجاسةً فستلعتها السماءُ والأرضُ . وإذا غشيتُم زوجاتكم فطهروا" (٣) .

• الصلاة : وهي رمزٌ للخضوع والانقياد ؛ تبدأ عند المندائية بإقامة طُقوسِ الطهارة والاغتسال ، وتنتهي بتأديتها على هيئةٍ خاصّةٍ وبأوضاعٍ مُعيّنة أُضيفتْ على مرِّ السنين إلى الصورة الأولى لعبادة البشر الأولين ؛ الذين كانوا يُقدّسون بها مظاهر الطبيعة (٤) .

أمّا هيئتها ، فتقتصرُ على الوقوف والركوع والجلوس على الأرض من غيرِ سجود . ويستغرقُ وقتها وتلاوةً أذكارها نحو الساعة وربع الساعة تقريباً . وتُؤدَّى ثلاثَ مرّاتٍ في اليوم : قبيل طلوع الشمس ، وعند زوالها ، وقبيل غروبها .

(١) راجع مقال سميع داود ، بعنوان: التوحيد الصابني وعلاقته بالديانات الموحدة . ( مقال سابق ) .

(٢) النص العشرون من كتاب "دراشه ذُ بهيا" - نقلاً عن مقالة "النظافة الشخصية في الديانة المندائية" للكاتب

المندائي: فاروق عبد الجبار عبد الإمام. مجلة اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر ، كندا .

(٣) النص الحادي والعشرون ( المصدر السابق ) .

(٤) راجع : الصابنة قديماً وحديثاً ص ٤٠ .

وتبدأ بالأذان ؛ وهو عبارة عن أذكارٍ مندائيةٍ تُتلى بين الحاضرين بدون رفع للصوت أو الوقوف على مكانٍ مُرتفع .

ويتوجه المصلّي إلى جهةٍ "برج الجندي" - أو جهة الشمال حيث النجم القطبي - رافعاً يديه وقليلًا من رأسه ، مع انحناءٍ قليل ، لابساً "الرسته" أو اللباس الأبيض .  
ثم يشرع في قراءة بعض الأذكار التي تُمجّد الخالق ، وتستمد منه العفو والشفاء من الأمراض ورفع الكوارث عن قومه وطلب الاتصال بعالم النور..

هنا ، وترغم المندائية أن الصلاة فُرِضت أولاً على "آدم أبي البشر" سبعة فروض ؛ فكان يُؤدّي بينها خمسة في الأوقات التي يُؤدّي للمسلمون صلاتهم ، واثنين في غير هذه الأوقات. وقد استمرت شريعة آدم ، إلى أن جاء "يوحنا" فنسخها بشريعته ، وجعل الصلاة ثلاثة فروض في ثلاثة أوقات ؛ كما هي عليه اليوم<sup>(١)</sup>.

صحيح أن المندائيين لا يزعمون أن دينهم أو شعائهم قد جاء بها "يوحنا" ، وأنهم لا ينظرون إليه إلا على أنه معلّم عظيم ، ورسول "شليبه" كريم ؛ جاء لينفذ مهمة خاصة بأمر الرب . إلا أن اسمه يُذكر في صلواتهم وتضرعاتهم اليومية ، أسوةً بالملائكة والأسماء المقدسة الأخرى لديهم .

فيذكرون اسم "يوحنا" في ابتداء الصلاة "الراخه" ، وفي طقوس التعميد "المصبنا" عند تلاوة ما يُعرف لديهم "بماثا قدامي" أو "صلاة الأسلاف" ؛ وهي جزءٌ مُتممٌ لإجراءات التعميد ؛ حيث يقولون في ابتداء الصلاة : "أسوتا وزكوتا هو يلخ ملكا يهيا يهانا" ؛ ومعناه : "السلام والنزاهة لك أيها الملك يهيا يهانا" . وكذلك في الطقوس الذي يُقام على أرواح الأسلاف ، ويسمونه "ذخرانا" ؛ تُذكر فيه أسماء الأسلاف ، سواء كانوا من الأرواح النورانية مثل : "أوثان وبلثان"<sup>(٢)</sup> ، و"شلي وندي"<sup>(٣)</sup> ، و"اباثر موزانيا"<sup>(٤)</sup> ، و"بهايل"<sup>(٥)</sup> . أو أسماء المقدسين لديهم من البشر الأقدمين ؛ كآدم ، وحواء ، وشيث "أو شيتل" ، و"شوم برنو" (سام بن نوح) ، ونوريثا (زوجته) ، ويهيا يهانا (يحيى) ، وأقر (زوجته)<sup>(٦)</sup> ، وغيرهم .

(١) راجع السابق ص ٤٢ ، وانظر : الصابئة ص ١١٠ ، للدكتور علي محمد عبد الوهاب (سابق) .

(٢) هما كائتا نورانيان متلازمان ، ومستولان عن حراسة "الردنا" أو الماء الجاري السماوي في عالم النور .

(٣) متلازمان ، ومستولان عن حراسة "الردنا" الأرضية ، ويمنحان النور الإلهي للمتحمدين للمصطبطين .

(٤) صاحب الميزان والحساب للنفوس البشرية عند معراجها للسماء .

(٥) أحد الملأكة الرئيسيين الذين شاركوا في عملية خلق العالم الأرضي ، المسمى "أرا د تيوال" .

(٦) راجع عزيز سباهي : أصول الصابئة ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

فإذا كانت هذه هي صلاة المندائية في الوقت الحاضر ، فإن "ابن الندم" يذكر في "فهرسه" أن الصابئة الحرائية كان لهم نوع من الصلاة يختلف عما عليه المندائية اليوم ؛ حيث كان المفترض عليهم من الصلاة في كل يوم ثلاثاً ؛ أولها : قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو أقل ، لتنقضي مع طلوع الشمس ؛ وهي ثمان ركعات وثلاث سجدة في كل ركعة . وثانيها : يكون انقضاؤها مع زوال الشمس ؛ وهي خمس ركعات وثلاث سجدة في كل ركعة . وثالثها : مثل الثانية ؛ ويكون انقضاؤها بعد غروب الشمس . والتزموا هذه الأوقات ؛ لأنها توافق مواضع الأوتار الثلاثة ؛ وهي : وتند المشرق ، وتند المغرب ، وتند السماء .

ثم يذكر "ابن الندم" ، أن لهم أيضاً صلاة "نوافل" بمنزلة "الوتر" ؛ وهي ثلاث في كل يوم : الأولى في الساعة الثانية من النهار ، والثانية في الساعة التاسعة منه ، والثالثة في الساعة الثالثة من الليل . ولا تكون الصلاة إلا على طهور<sup>(١)</sup>.

- **الصيام** : هو شعيرة قديمة ، لم تخل ديانة منها . بل إن الليل والنحل الأرضية التي تكثر فيها الطقوس الوثنية ؛ كأديان الهند الكبرى "الهندوسية ، الجينية ، البوذية" ، يوجد بها صيام على نحو ما<sup>(٢)</sup>.

والصابئة لم تكن يدعاً من الديانات التي فرضت شعيرة الصوم على أتباعها . لكن نظراً لقيم الديانة ، وضياح كثير من تراثها ، وتختلف القوم عن دراسة معتقداتهم وشريعتهم ومتابعة التغيير الذي أحدثه علماءهم في طقوسها على مر العصور ، الأمر الذي لا نستطيع معه الوقوف على أية إشارة من تراث المندائيين إلى صورة الصيام عندهم ، وعدد الأيام التي يصومونها ونحو ذلك .

لكن المؤكد أن شريعة "الصابئة الحرائيين" — كما يذكر ابن الندم — تفرض عليهم صيام ثلاثين يوماً في العام ، ولهم تنقل من صيامهم يتراوح ما بين : ستة عشر ، وسبعة وعشرين يوماً<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع: الفهرست لابن الندم ص ٤٤٢ ، ٤٤٣ . وانظر: ابن العربي ت ٦٨٥ هـ: مختصر تاريخ الدول ص ٢٦٦ ، ط سنة ١٩٨٠ م بيروت .

(٢) راجع د. أحمد شلي: مقارنة الأديان ٤ : ٧٠ ، ١٢٤ ، ١٦٢ ، ط ٦ سنة ١٩٨١ م ، مكتبة النهضة المصرية .

(٣) راجع الفهرست ص ٤٤٣ ، ط سنة ١٣٤٨ هـ القاهرة . وراجع مختصر تاريخ الدول لابن العربي ص ٢٦٦ .

أما المندائية اليوم ، فلا يصومون ؛ لاعتقادهم أن الصيام - الذي هو الامتناع عن الطعام والشراب وسائر اللذات المباحة - تحريم لما أحله الله ! وإن كان البعض منهم يتظاهر بالصيام في شهر رمضان مجازاة لمن حولهم من المسلمين . والكثير منهم يمتنع عن أكل اللحوم مئة سنة وثلاثين يوماً ، على نحو ما هو عند النصارى<sup>(١)</sup> !

لكن مبدأ الصوم متبع في المندائية ، وإن كان لا يعني الكف عن شهوتي البطن والفرج لوقت معلوم ؛ فإن هذا الصوم يُسمى لديهم "الصوم الصغير" ؛ وهو غير ذي فائدة دينية . أما الصوم الحقيقي - أو كما يُسمونه بالصوم الكبير - فهو صوم العقل والقلب والضمير عن المعاصي وانتهاك الحرمات والاقتراب من السلاطين ؛ كما جاء في أحد نصوص "كترا ربا" :

" قل يا عبادي: لا تزنا ولا تسرقوا ولا تنتهكوا حرمات الناس . لا تكتروا الذهب والفضة فالدنيا باطلة ومقتياتها زائلة . لا تسجدوا للشيطان ولا تعبدوا الأصنام والأوثان . صوموا الصوم الكبير، صوم القلب والعقل والضمير . يا أصفياي لا تقربوا الملوك والسلاطين والمردة في هذا العالم ، ولا تقفوا بهم ، لا بأسلحتهم ولا بحشودهم ولا تلوا أعناقكم للذهب والفضة التي يكفرون ، أنها سبب كل فتنة ستركرها .."<sup>(٢)</sup>

#### • المحرمات الدينية : ذكر الترمينا "يوحنا النشمي" - في المحاضرة التي ألقاها بمناسبة العيد

الكبير للطائفة<sup>(٣)</sup> - أهم المحرمات التي تنهي عنها الديانة المندائية ؛ ومنها :

١. التجديف أو الكفر بالله والتقليل من شأنه .
٢. القتل ، السرقة ، الزنا ، الكذب ، الحسد ، شهادة الزور ، النميمة ، الغيبة ، خيانة الأمانة والمُعشَر ، وكل ما يشين التصرف الإنساني .
٣. السجود لغير الحي العظيم ، وعبادة الكواكب والأفلاك والبشر والنار والماء وكل شيء غير الخالق الأزل "هبي ربي" .
٤. السحر والشعوذة بكل أنواعهما .
٥. قتل الحيوانات بدون سبب ، وتأذيتة عند الذبح .

(١) راجع : الصابئة قديماً وحديثاً ص ٣٩ .

(٢) كترا ربا - اليمين - كتاب الوصايا .

(٣) ألقاها بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١٦م ، في جمعية النادي الثقافي المندائي في سدي - استراليا ، ونشرت في مجلة اتحاد

الجمعيات المندائية في المهجر ( سابق ) .

٦. أكلُ دمِ الحيواناتِ والميتةِ ، وذبحُ الحامِلِ منها ، وأكلُ الحيواناتِ المُفترسةِ .
٧. كلُّ الأعمالِ التي تضرُّ بصحةِ الإنسانِ الجسديةِ والروحيةِ والعقليةِ .
٨. النِّكاحُ والتَّوَّاحُّ ولُبْسُ السَّوَادِ عَلَى الْأَمْوَاتِ .
٩. الرِّبَاءُ أَوْ إعْطَاءُ الصَّدَقَةِ والتَّحَدُّثُ بِهَا .
١٠. الحِثَانُ ، وأَيُّ تَغْيِيرٍ فِي جَسَدِ الْإِنْسَانِ الَّذِي وَهَبَهُ اللَّهُ لَهُ .
١١. تَلَوُّثُ الطَّبِيعَةِ وَالْأَنْهَارِ .
١٢. الْإِنْتِحَارُ وَانْهَاءُ الْحَيَاةِ وَالْإِحْهَاضُ الْمُتَعَمَّدُ .
١٣. الْحِلْفُ أَوْ الْقَسَمُ إِذَا كَانَ بَاطِلًا .
١٤. الرِّهْنَةُ .
١٥. التَّشَبُّثُ إِلَى حَدِّ الْعِبَادَةِ بِالدُّنْيَا وَمُقْتِنَاتِهَا الزَّائِلَةِ .

أما تقديرُ عقوبةِ هذه المحرِّماتِ ، فمتروكٌ لله وحده . ولا شكَّ في أنَّ أغلبَ هذه المحرِّماتِ تشتركُ فيها الأديانُ جميعاً ، بل هي لا تَعْلَمُ أَنْ تَكُونَ وصايااً لمُصلِّحينَ أكثرَ منها أولَمرِّ دينيةٍ . لكنها على أية حالٍ تُظهِرُ الدينَ المندائيَّ كأحدِ الأديانِ التي تدعو للسلامِ والرحمةِ والتسامحِ ..

### • الأحوال الشخصية :

المرأةُ في المندائية تُساوي الرجلَ تماماً في كافَّةِ الحقوقِ والواجباتِ ؛ فكلُّ منهما مُكَمَّلٌ للآخرِ ، ولا غنى لأحدهما عن الآخرِ . والشرعيةُ المندائيةُ ترمزُ للرجلِ أَوْ للعنصرِ الذكريِّ بكلمةِ "سيندوكا" ؛ ومعناها : النخلةُ أَوْ رمزُ التكاثرِ والثباتِ . كما ترمزُ للعنصرِ الأنثويِّ بكلمةِ "إينا" ؛ ومعناها : عينٌ أَوْ ينبوعُ الماءِ . وترى المندائيةُ أنَّ اتِّحَادَ هَئِينِ الرَّمْزَيْنِ يُمَثِّلُ الْقُوَّةَ الْخَالِقَةَ ، التي هي الحياةُ<sup>(١)</sup>.

ومعنى هذا أنَّ العنصرَ الأنثويِّ ليس طارئاً على الخَلِيقَةِ ، بل هو أَصْلُهَا . وهذا هو السببُ في ورودِ أسماءٍ كثيرٍ من الكائناتِ النورانيةِ والأنثويةِ في التراثِ المندائيِّ ، مُقْتَرَنَةً بِأَسْمَاءِ كائناتٍ نورانيةٍ ذكوريةٍ ؛ مما يدلُّ على أنَّ تَقْدِيسَ الكائناتِ النورانيةِ — الملائكةِ والأُمَرِيِّينَ — في الإيمانِ المندائيِّ ، ليس مقصوراً على العنصرِ الذكريِّ منها ، وإنما يشملُ العنصرَ الأنثويَّ أيضاً . ومن أمثلةِ

(١) راجع مقال د. قيس مفشغش السعدي، بعنوان "النخلة" — في مجلة "آفاق مندائية" العدد ٤٥ السنة الرابعة عشرين ، نيسان ٢٠٠٩ م ، التي تصدر عن المديرية العامة لأوقاف الصابئة المندائيين — العراق .

ما ذُكر منها "سيمات هبي" ؛ ومعناها : أم الحياة . و"إزلات ربي" ؛ ومعناها : إزلات العظيمة . و"مركيثا دُ كيثا" ؛ ومعناها : الجوهرة الطاهرة . و"هبرات أنانا" ؛ ومعناها : السحابة النقية<sup>(١)</sup> ...

هذا ، وللمندائية طقوسٌ خاصةٌ بالزواج<sup>(٢)</sup> ، أما الطلاقُ فهو غيرُ واردٍ في شريعتهم إلا في حدود ضيقة للغاية . لكن قد تضطرُّ الزوجُ بعضُ الأحوالِ لأن يهجرَ زوجته ؛ وفي هذه الحالة يُقرُّه الشريعةُ المندائية متى أقامَ البيئةَ على أسبابِ الهجرِ ؛ كثبوتِ الزنا ، أو سوءِ أخلاقِ الزوجة ، أو مرضِ أحدهما بمرضٍ مُعْدٍ لا شفاءَ منه ، أو دخولِ أحدهما في دينٍ آخرَ ، ونحو ذلك من القيود التي وضعتها المندائية وجعلت التحللَ من أحدها سبباً وجيهاً للتفرقة بين الزوجين بالمهجِرِ .

وللزوجة المهجورة أن تتزوَّجَ متى تُوفيَ هاجرُها ، أما قبلَ ذلك فلا يجوزُ لها الزواجُ . والتي كُتِبَ عليها الزنا لا يُقامَ عليها الحدُّ ولا تُقتلُ شرعاً ؛ إذ ليس في الشريعة المندائية حدودٌ تُقام في هذه الحياة الفانية ، لكنَّ المندائيين العربَ غالباً ما يقتلون الزانية المُحصنة إما حِمِيَّةً ، وإما تأثراً بعادات مجاورهم من المسلمين وغيرهم . والأزمنةُ لها أن تتزوَّجَ متى انقضت عِلَّتُها - وهي ثلاثةُ شهورٍ - إنَّ جاءها من يطلبُ زواجها من أبناءِ الطائفة<sup>(٣)</sup> .

### • مراسم الزواج المندائي ، "قايين إذ شيشلام ربنا" :

العزوبةُ خطيئةٌ كبيرةٌ في الديانة المندائية ؛ إذ لا يجوزُ أن يستمرَّ الرجلُ عزباً متى توفرت له أسبابُ الزواجِ الماديةِ والبدنيةِ . والزوجُ والزوجةُ على حدٍّ سواءٍ يرتبطهما عقدٌ - أو "عهدٌ" - واحدٌ لا ينتهي بالوفاةِ ، وإنما يستمرُّ بعدها حيث يسكنان معاً في عالم الأنوار "إلى دُهوراً" . أو بمعنى آخرَ ، لا يجوزُ للرجلِ أو للمرأةِ في الشريعة المندائية الزواجُ لأكثرَ من مرةٍ واحدةٍ . لكنَّ الزواجَ الثاني استُحدثَ - ومن ثم حُلِّلَ على مضضٍ - لما دعت إليه ضرورات كثيرة<sup>(٤)</sup> .

(١) راجع محاضرة الترمينا يوحنا النشمي ( سابق ) .

(٢) راجع مقال "سرى العميدي" ، بعنوان : "الزواج المندائي" .. طقوسُ عناوينا النهر - منشور بمجلة الحوار للتصديق الصادرة بالعراق ، بتاريخ ١٦/٨/٢٠٠٨ م ، العدد ٢٣٧٥ .

(٣) راجع د.علي محمد عبد الوهاب : الصابئة ص ١٤٢ ( سابق ) .

(٤) راجع مقال "ماجد فندي" ، بعنوان : الزواج المندائي الشرعي وغير الشرعي بين النظرية والتطبيق - منشور في مجلة اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر ، استراليا ، بتاريخ ١١ فبراير ٢٠٠٩ م .



وللزواج في المندائية مراسيم مخصوصة وتعميد مقرر، يلزم جميع المندائيين أينما وجدوا؛ لأن المندائي الذي لا يتزوج حسب الطريقة المندائية، يعتبر زواجه باطلاً من الناحية الدينية.

وتبدأ مراسمه بإرسال نسوة إلى الفتاة المطلوبة، للتأكد أولاً من أنها ما تزال بكرًا<sup>(١)</sup>، ثم لأخذ موافقتها على العريس المسمى لها. ويشترط لصحة العقد أن يحضر مراسم رجل دين برتبة "كترافرا"<sup>(٢)</sup>، ومساعدائه له برتبة "ترميذا"<sup>(٣)</sup>؛ أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره. فضلاً عن حضور ولي الفتاة — وغالباً ما يكون الأب — وأحد الفقهاء للمراسم برتبة "شكندا"<sup>(٤)</sup>. ويجب أن يحضر العروسان مجلس العقد، وعندئذ من الأشخاص كشهود. هذا ما نص عليه كتابا "القلستا"<sup>(٥)</sup>، و"شرح إذ قاين شيشلام ربا"<sup>(٦)</sup>؛ وهما المصدران المختصان بشرح كيفية إجراء طقوس الزواج عند المندائية.

ومن الأمور المكملّة لطقوس الزواج، إحصاء خاتمين: أحدهما من الياقوت الأحمر كرمز للرحولة، والآخر من الزمرد الأخضر أو الفروز كرمز للإنجاب. وإحصاء بعض من نبات "الشنان"،

(١) كان هذا الإجراء متبعاً في السابق، أما اليوم فيكفي إحصاء شهادة من طبيب مختص تثبت أن العروس مازالت بكرًا؛ لأن الكترافرا لا يجري مراسم العقد على الثيب، لاعتقادهم أنها تنحس. أما الثيب فتولي عقد زواجها رجل دين آخر برتبة "ابسين"؛ وهو بدرجة ترميذا لكنه مختص فقط بعقد الزواج على الثيبات، دون الأباكار. راجع مجلة الراصد الإسلامية ص ٨، ٩ العدد ٢٢ ربيع آخر عام ١٤٢٦هـ — العراق.

(٢) أعلى مرتبة دينية موجودة الآن في المندائية، والكترافرا هو المسؤول عن أداء كافة الطقوس الدينية. ويوجد من هذه الرتبة عدد قليل لا يتجاوز الأربعة.

(٣) هو رجل دين يقوم بتقييف أبناء الطائفة، وله الحق في أداء المراسم الدينية. وعدد هذه الرتبة في العالم لا يتجاوز الثلاثين ترميذاً.

[ راجع محاضرة الترميذا بوحنا النشمي، بعنوان: معاني بعض رموز المصبتا (التعميد المندائي) الخاصة بالمصطفي (المتعمد) — مصدر سابق ].

(٤) هو المساعد الديني للمكهنة عند أدائهم الطقوس الدينية، وبدون الشكندا لا يتم أي طقس ديني كبير.

(٥) ترجمه "يليز بارنسكي" إلى الألمانية ونشره عام ١٩٢٠م، ضمن مجموعة تسمى "نياني" تضم الأناشيد والتراتيل والصلوات التي تتلى في طقوس التعميد وعلى أرواح الموتى. ثم أعادت الليدي "درلور" ترجمتها كاملة ونشرها عام ١٩٥٩م باسم "كتاب الصلوات القانوني أو القلستا".

(٦) أو شرح زواج شيشلام العظيم. وهو كراس يصف مراسيم الزواج والنصوص التي ينبغي أن تقرأ في مجلس العرس. وقد ترجمته "درلور" ونشر في "روما" عام ١٩٥٠م.

[ راجع عزيز سباهي: كشاف بالأدب المندائي، ضمن كتابه: أصول الصابئة ص ١٤، ١٥ ].

وقالب من الصابون الباقى - ويسمونه صابون الرقى - ومُشَطَّ حشيشي لتصفيف الشعر ، وثلاث قطع من النقود الفضية "وتسمى هذه النقود (حق ريشة) ؛ أي حق الأم لما قامت به من تربية صالحة .

ثم يقوم أحد رجال الدين "الترميدا" ، بإعداد وجبة الطعام المقدسة - وهي مكونة من لبّ الجوز واللوز وبعض الفواكه المحففة - وهبة إبريق مملوء بماء النهر ولقمة بقطعة قماش بيضاء ، وإعداد قليل من منقوع الثمر - ويسمونه "همرة" - على ألا يكون قد بات ، وإعداد ستة وثلاثين رغيفاً من خبز الحنطة . وإحضار "سكيندولة"<sup>(١)</sup> لدفع الشر ، على أن تبقى في بيت العريس لمدة أسبوع .

ويبدأ "الترميدا" بتلاوة بعض الأذكار أثناء قيامه بجدل إكليلين من أغصان نبات "الأس" - وهو نبات دائم الخضرة وله رائحة طيبة - الذي يمثل عندهم عنصر الخصب .

وبعد ذلك يقف "الكفرافا" على باب الخيمة المعلقة للعروسين - ويسمونها "الأندرون" - بعد إتمام عملية "التعميد" لهما ، ويقف العريس على يمينه بملابسه الدينية "الرسنة" ممسكاً بالكفرافا ، بعد أن يكون قد أكمل دعاء طلب الرحمة "الرحمي" . وعندئذ ينادي الكفرافا على الترميدا قائلاً باللغة المندائية ما ترجمته : "اذهب إلى العروس وتقد المتطلبات الدينية ؛ كالملايس والمقروشات ، وألبسها المحبس الأحمر في اليد اليمنى ، والمحبس الأخضر في اليسرى ، وطهر يديها وأعطاها لتأكل وتشرب ، واقرأ عليها بوثة - آية - باسم الحي العظيم ؛ لحفظها من النوائب" .

ثم يقوم الترميدا بسؤال العروس أمام الشهود وأخذ موافقتها على الزواج ؛ وعندئذ يُلبسها الحائمين ويقدم لها لقمة اللوز والزبيب ، ثم يلتحق بالكفرافا والعريس ؛ لينتهي بهما حدث دون زيادة أو نقصان .  
وعندها يُمسك العريس بـ "كنزالة"<sup>(٢)</sup> الكفرافا ، ثم يتوجه الكفرافا إلى الحاضرين ويفتح كتاب "القلستا"

(١) أداة تتكون من ثلاثة أجزاء : الخاتم والسلسلة والسكين . ويجب أن تصنع من الحديد ، وتستخدم كراعي للشر ؛ حيث ينقش علي حائنها أربعة رموز تمثل المكونات الأربعة للمادة ؛ وهي : الأنفى وتمثل التراب ، والأسد وتمثل النار ، والعقرب وتمثل الماء ، والدبور وتمثل الهواء . وهذه الرموز تمثل وفق النظرة المندائية ملوك عوالم الشر الذي قيدها ملاك الرب "هيل زيو" أو جبرائيل . والخاتم عبارة عن درع يصدر شرور الظلام ، والسلسلة عبارة عن الرابط الذي يربط الدرع بالسكين التي تمثل السلاح الرمزي ضد أية محاولة للشر .

(٢) الكنزالة ، هي قطعة من القماش بطول متر ونصف تقريباً توضع حول العنق متدلّية ؛ وتستخدم استخدامات مختلفة : فالشخص العامي يضعها فوق رأسه عند الصباغة ، أما رجل الدين فإنه يعقدها عقدة خاصة عند صباغة شخص ،

الخاص بعقد الزواج ، وقرأ بعض الأدعية ، ثم يوشّر للشخص الواقف على باب "الأندرون" بكسر قطعة من الفخار موضوعة على الباب ؛ وذلك إيداناً بيد مراسم العقد . فيدخل الكفرا والعريس والشهود جميعاً إلى "الأندرون" ، على أن تكون وجوه الجميع متجهة إلى القبلة — وهي جهة الشمال — وتوزّع عليهم أرغفة الخبز والسملك والفاكهة . ثم يلتفت الكفرا إلى العريس قائلاً له : لقد نصّبناك زوجاً شرعياً على فلانة بنت فلان ، بالعهد من الله الحق الأزلي وبشهادة ملائكتي الأبرار وبشهادة الحاضرين من الروحانيين والمندانين ، على ألا تنقض عهذك ولا تنكح بزواجك ؛ فهي مُسلمة إليك بموجب العهد النازل من الله . ثم يأمر الأب بأن يقول للزوج : إني أسلمتُ إياها بالعهد الذي أمرنا به الله . وهنا يتصافح كل من الزوج والأب ويُقبل كل منهما يد الآخر ثلاث مرّات.

وبعد ذلك ، يقرأ الكفرا بعض الوصايا من كتاب "القلستا" ، وهو يدور حول العريس ثلاث مرّات ؛ إعلاناً منه بأنه قد أدى واجبه وتحلّل من كافة مسئولياته الدينية . وهنا تنتهي مراسم الزواج ، وعلى الزوجين أن يُعيدا عماذهما في الماء الجاري بعد سبعة أيام .

هذا ما جاء في نصوص الكتب المندائية ، وعليه كانت تتم مراسم الزواج المندائي على مرّ العصور . لكن حدث في السنوات الأخيرة تغييرات في تلك المراسيم ، خاصة التي تتم في المجتمعات الغربية — أشار لذلك أحد الكتاب المندائيين<sup>(١)</sup> — حيث يقوم "الترميذا" بكافة المراسيم بمفرده ، من دون إشراك "الكفرا" كما هو متبع . بل أصبح "التعميد" — وهو أهم مراسم الزواج — يجري في أي يوم من أيام الأسبوع ، وليس في يوم الأحد كما تنصّ على ذلك الشريعة المندائية . فضلاً عن "الشكندا" المساعد في المراسيم ، لم يعد مهماً كونه حليق الشعر ؛ إذ المتبع في الفقه المندائي أن مَنْ يحلق شعر رأسه لا يصلح لأن يكون "شكندا" أو مُساعداً لرجل الدين . والتوجه لجهة الشمال لم يعد هو الأصل ، ولم تعد اللغة المندائية مستخدمة في طقوس الزواج الحديث !

وكذلك عند الزواج ؛ حيث يحسك العريس بكثرة الكفرا كرمز للرباط الروحي الذي يربط الشخص بـرجل الدين .

[ راجع مقالة الترميذا سلوان شاكر ، بعنوان "شعائر ومفردات دينية ومعانيها" — بمجلة اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر ، عدد ديسمبر ٢٠٠٨ م — تحت عنوان : "مبدعون مندائيون" ] .

(١) هو "ماجد فندي" ، انظر مقاله "الزواج الشرعي وغير الشرعي بين النظرية والتطبيق" . ( سابق ) .

وهذا كله نتيجة كثير من التحديات التي تواجه أبناء الطائفة في المهجر ؛ نظراً لتناقص أعداد رجال الدين ، وعزوف الغالبية من أبناء الطائفة عن الانخراط في سلك رجال الدين ، فضلاً عن سيطرة الفكر العلماني على أغلب مثقفي الطائفة..

فإذا كانت زيجات كثيرة تتم بدون المراسيم للتوارث ، وتُسمّى هيات وفتياناً ؛ وبعضهم صار رجل دين أو معامداً له ، والفتيات تزوجن رجال دين ، وأصبح هناك امتزاج كبير ؛ بحيث لم يعد يُعرف أيّ منهم قد أُحرقت له أو لوالديه مراسيم زواج شرعية . فإن ذلك - بلا شك - يتطلب اجتهداً من فقهاء المندائية للتدليل من تلك المراسيم ؛ حتى لا يُحكم على أكثر أبناء الطائفة المهاجرين بأنهم غير شرعيين ، أو أن زواجهم باطل .

### • العدة والحيض والنفاس:

أقلُّ مدّة للحيض عند المندائيات ثلاثة أيام ، وأكثرها سبعة . وأما مدّة النفاس عندهن فهي ثلاثون يوماً ؛ فلا تحل للزوج مواصلة زواجه أثناء تلك المدّة حتى لو طهرت قبل انقضاءها . وبعد انقضاء فترة الحيض ، تنهّب الزوجة بجميع ملابسها للانعماس - أو الارتسام - في الماء الجاري ثلاث مرّات . أما النفساء فترتسم في الماء الجاري بملابسها بعد مضي الأسبوع الأول على النفاس ، على أن تُجذّده بعد انقضاء الثلاثين يوماً ؛ التي هي مدّة النفاس القانونية .

وكما لا يجوز للحائض أن تلمس أيّ شيء في خلال مدّة الحيض ، كذلك لا يجوز للنفساء أن تُخالط أو تجتمع بأيّ أحد ، ولا أن تطبخ شيئاً في بيتها ، ولا أن تقوم بأية خدمة منزلية . ومن فرض عليها عمل شيء ما ، فإنه يتجنّب ويتوجّب عليه عندئذ التعميد في الماء الجاري<sup>(١)</sup>.

### • الأعياد المندائية :

السنة المندائية اثنا عشر شهراً ، تبدأ من شهر "إبريل" - نيسان - ثم تليه بقية الشهور . وعدد أيامها ثلاثمائة وستون يوماً ، لأن الشهر المندائي ثلاثون يوماً.

- أما أسماء الشهور باللغة المندائية ، فهي على الترتيب : "أمرا ، تورا ، صلحي ، سوطانا ، أربا ، شبلتا ، قينا ، أرقوا ، هطيا ، كديا ، دولا ، نونا" .

(١) راجع : الصباغة قديماً وحديثاً ص ٤٥ ، ٤٦ .

— وأسماء أيام الأسبوع ، من السبت إلى الجمعة ؛ هي : "شفتا ، هوشبا ، أترين هوشبا ، ثلاثا هوشبا ، همشا هوشبا ، أورفتا" .

— وأسماء فصول السنة الأربعة ؛ هي : الشتاء "سيتوا" ، الربيع "أهار" ، الصيف "جيتا" ، الخريف "بانز" .

وللمندائيون يُقدِّسون يوم "الأحد" — كالنصارى — ويُعطِّلون فيه أشغالهم ؛ لاعتقادهم أن "موشيه" — أحد القديسين الثلاثة وستين — ينزل من عالم الأنوار أو الجنة "آلمي ذهورا" إلى الأرض في يوم الأحد من كل أسبوع ؛ لتعميد أهل "مشوني كسطه" أو المندائيين . لذلك يسمون هذا اليوم باسم "القديس السماوي" <sup>(١)</sup> .

ومن الجدير بالذكر أن المندائيين في العراق ما زالوا يطبقون التقويم البابلي حتى اليوم في أعيادهم الدينية ، ويعتبرون أن يوم ٢١ آذار "مارس" هو يوم تساوي الليل مع النهار ، واتصال ذلك بالتوازن بين عالم الأنوار وعالم الظلمات ؛ الذي تنبئ على أساسه عقيدتهم . وما زالوا يعتبرون يوم ٢٠ كانون الأول "ديسمبر" الذي يطلقون عليه احتفال "البنجل" ؛ هو يوم زيادة النهار على الليل أو زيادة عالم النور في عقيدتهم <sup>(٢)</sup> .

أما بقية أعيادهم الرسمية فهي :

١ — العيد الكبير : ويسمونه "اذ هو ربنا" ؛ ويعني : ملك الأنوار ، وقد يُطلقون عليه عيد "نورو زربا" ؛ ويعني : عيد اليوم الجديد . أما عوالم المندائيين فيسمونه "يوم الكرصة" ؛ أي يوم الاعتكاف ؛ حيثُ يمكنون في بيوتهم أيام هذا العيد الأربعة ، مدة ست وثلاثين ساعة متتالية <sup>(٣)</sup> .

ويرجع هذا الطقس ، إلى اعتقاد المندائيين بأن "آدم كسيا" — أو آدم الحقيقي الذي هو المثل الروحي لآدم بغرا "أو آدم الجسد" — قد خرج في ذلك اليوم إلى الوجود ؛ حيث وُلِدَ ولادة رمزية من رمزي الحياة : "سيندوكا" أو النخلة التي تمثل الجانب الذكري ، و"إينا" أو عين الماء الجاري التي تمثل

<sup>(١)</sup> راجع الصابغة قديماً وحديثاً ص ٥٦ .

<sup>(٢)</sup> راجع مقال د. علي تويني معمار ، بعنوان "الجذر العراقي لأسماء الشهور والدهور" منشور بمجلة اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر ، باب "آراء" ، عام ٢٠٠٩ م .

<sup>(٣)</sup> راجع الصابغة قديماً وحديثاً ص ٥٧ .

الجانب الأتوني . واعتقادهم بأنه عندما سقطت حبة لقاح من السينتركا في الماء الجاري - أي الرحم المقدسة - نبتت هناك في العالم النوراني ثلاثمائة وستين يوماً ؛ ومن هنا بدأت عجلة الزمن تدور . وعندما خرج "آدم كسيا" إلى العالم النوراني "مشوي كسطه" ، نهض وقام واحتبأ بين الأشجار والأعشاب التي تكسو العالم النوراني .

أما الساعات الست والثلاثون التي يعتكفون فيها - لو يكرصون - فهي تمثل الثلاثمائة وستين يوماً ، التي ظل فيها "آدم كسيا" ساكناً في ذلك الرحم المقدس ؛ والتي بدأت في يوم يُسمونه "كنشي وزهلي" ، وهو اليوم الأول من العيد الكبير . ومن هنا ، فإن تلك الساعات تُعدُّ ذكري للكون كله ؛ تحفل بها ملائكة السماء مع المندائيين ؛ حيث يجتنبون مثلاً ست وثلاثين ساعة في سكون تام ، اقتداءً بتلك المدة التي قضتها "آدم كسيا" ساكناً<sup>(١)</sup>.

٢- عيد شوشيان ، أو عيد الأيام الستة : يوافق هذا العيد يومي السابع والعشرين والثامن والعشرين من شهر "تموز" - يوليو - من كل عام ميلادي ؛ حيث يعتقد المندائيون أن مناسبته توافق اكتمال الخلق الذي بدأ بولادة "آدم كسيا" ، الذي كوّن اللبنة البشرية بأمر من الرب ، مُستغراً في تكوينها ستة أيام ، وفي اليوم السابع استراح من عملية الخلق والتكوين . وفي هذا العيد يقوم رجال الدين المندائيون بجمل الأكاليل الخضراء ، وتعليقها في كل مكان ؛ ابتهاجاً باكتمال الخلق الذي بدأه "آدم كسيا" ، بعد قراءة بعض النصوص المندائية عليها.

٣- عيد "دك الفل" : وتوافق هذه المناسبة الأول من شهر "آيار" مندائي ؛ حيث يعتقد المندائيون أن للملاك "هيل زيو" قد هبط في ذلك اليوم إلى الأرض بأمر من ملك النور العالي ؛ كي يعمرها ويهيئها لخلق "آدم بغرا" . فقد زعموا أن الأرض كانت خربة وتكسوها المياه ، إلى أن هبط عليها الملاك "جبرائيل" - أو هيل زيو - ومهدا وجعل غذاء "آدم" من التمر والسمسسم ؛ لاعتقادهم أن النخلة والسمسسم الأبيض شجرتان مقدّستان موجدتان في عوالم النور العليا ، وأن امتزاجهما معاً يُعطي خليطاً يسمونه "الفل" ، ويعتقدون أنه غذاء ملائكي . لذلك يُحيي المندائيون هذه الذكرى كل عام .

<sup>(١)</sup> راجع مقالة الترميزا سلوان شاكر ، بعنوان: "الأعياد المندائية" ، نشر اتحاد الجمعيات للمندائية في للهر ، كندا ، عام

٤- العيد الصغير ، ويسمونه "اذ هوا هتينا" : ويُوافق هذا العيد يومَ الثامن عشرَ من شهرٍ "آيار" مندائي، ويستمرُّ إلى اليومِ الحادي والعشرين منه . فهو يأتي بعدَ مناسبةٍ "دك الفل" بسبعة عشرَ يوماً ، أو بعدَ العيدِ الكبيرِ مائةً ومثانة عشرَ يوماً<sup>(١)</sup> . والمندائيون يحتفلون به ؛ لاعتقادهم أنَّ الملاك "هيل زيو" عرج إلى السماء في ذلك اليوم ، بعدَ أن مهَّد الأرضَ وفجَّرَ فيها أنهارَها وخلقَ جميعَ الكائنات الحيَّةِ بأمرٍ من الحيِّ الأزلي . لذلك يحتفلون بيوم صعوده إلى السماء ؛ ذلك اليوم الذي ابتهجت له عوالمُ النورِ كُلُّها<sup>(٢)</sup>.

٥- تذكار "أبو الهريس" : ويوافق الأول من "تموز" مندائي ، حيثُ يعتقدُ المندائيون أنَّه في ذلك اليوم ، قامَ "نوح" وابنه "سام" بصنعِ طعامٍ الغفرانِ - أو كما يسمونه "الفاقة" - على أرواحِ غرقى الطوفانِ ؛ الذين ماتوا على ظهرِ السفينةِ وخلفوا وراءهم الحبوبَ التي جمعوها قبلَ الطوفانِ ؛ وهي - كما يعتقدون - سبعة أنواعٍ من الحبوبِ ، تُمثِّلُ أيامَ الأسبوعِ السبعة . والمندائيون يُحيون هذه المناسبةَ ، ويُطلقون عليها "يوم الهريس" ؛ نسبةً لهرس تلك الحبوبِ<sup>(٣)</sup>.

٦- عيد "البنجه" ، أو الأيام الخمسة البيضاء "البارونايا" : ويأتي هذا العيدُ في شهرٍ "آذار" - مارس - من كلِّ عامٍ ميلادي ، ومُدته خمسة أيامٍ تبدأ من اليومِ السابع عشرَ . وأيامُ البارونايا هذه - كما يعتقدُ المندائيون - ذكرى خلقِ عوالمِ النورِ "التي ذُهِبَوا" ، وفيها تجلَّى الربُّ وأعلنَ عن ذاته وصفاته في هذا الوجودِ : فقد أظهرَ صفةَ "الحياة" في اليومِ الأولِ ، وصفةَ "العظمة" في اليومِ الثاني ، و"المعرفة أو العلم" في اليومِ الثالثِ ، وصفةَ "الحق" في اليومِ الرابعِ ، أما اليومُ الخامسُ فقد تمجَّرت فيه المياهُ الجاريةُ "يردنا" ؛ التي يعتقدون أنَّها سرٌّ من أسرارِ الحيِّ الأزلي "هبي قدامي"، ومنها خُلِقَت عوالمُ النورِ - التي هي مكانُ الربِّ - وخلقَ الزمنُ..

ومع أنَّ أيامَ "البارونايا" مُقلَّسةٌ عند المندائيين ، إلَّا أنَّها لا تدخلُ في عدادِ الزمنِ ؛ لاعتقادهم أنَّها أسمى من أن تكونَ زمنًا . صحيحٌ أنَّها خمسة أيامٍ ، لكنَّ كُلَّها نورٌ لا ظلامَ فيه ، ونهارٌ لا يقاسمه ليلٌ . لذلك فهم يصلُّون فيها صلاةَ الصبحِ فقط في كلِّ أوقاتِ اليومِ حتى لو كانت ليلاً ؛ ابتهاجاً بالنورِ الأسمى الذي تجلَّى على

(١) راجع الصابئة قديماً وحديثاً ص ٥٨ ، وكتاب الصابئة للدكتور علي محمد عبد الوهاب ص ١٣١ .

(٢) راجع مقالة "الأعياد المندائية" للترميمذا سلوان شاكر ، سابق .

(٣) راجع المصدر السابق .

العالم في هذه الأيام<sup>(١)</sup>، ولكون المندائيين يعتبرون أنفسهم أبناء النور، فإن هذه الأيام تُعدُّ أقدس مناسبة دينية لهم، ليس للشر أو للشيطان حظ فيها؛ لأنها أيام الرب، كلها خير في خير، وصفاء في صفاء. وفي هذه المناسبة يصطفح المندائيون بشكل مستمر، وتُحرق فيه الذبائح من أجل إقامة "اللياقة" على أرواح الموتى المندائيين.

٧- عيد العميد "اذ هفا اذ دوما"، أو عيد "يهيا يهاننا": ويوافق هذا العيد اليوم الأول من شهر كانون مندي، وهو يلي عيد "النجاة" بستين يوماً. وهو يوم مقدس من أيام السنة المندائية، ويُطلقون عليه أيضاً "اذ هفا اذ يمانه". ومناسبته ترجع إلى اعتقادهم بأن "يحيى" - ~~الملك~~ - قد اصطفح في مثل هذا اليوم وعمره آنذاك ثلاثون يوماً؛ حيث كان يومها طفلاً رضيعاً، وكانت الأرواح النورية تزعمه عندما أحلوه من أمه لينقذوه من توعد اليهود بقتله. وفي هذا اليوم يتوجّب على كل مندائي الاصطباح، بل يعتقدون أن الذي يصطفح في هذا اليوم برسته - ملابس بيضاء - حديدية، شكّبت له سبعون صباغة.

٨- مناسبة "كنشي وزهلي"، أو الاجتماع والظهير: وتكون هذه المناسبة في آخر يوم من السنة المندائية؛ حيث يصطفح فيه جميع المندائيين برسته حديدية؛ ليتخلصوا من الذنوب وللعاصي التي ألوا بها خلال العام، وليهتوا أنفسهم لطقس "التكريص" أو الاعتكاف الذي يبدأ في الساعة السادسة من مساء يوم "كنشي وزهلي"<sup>(٢)</sup>.

هذه هي طائفة المندائية وطقوسها الدينية، التي استقيناها مما توفّر لنا من مصادر أساسية لها.

(١) راجع مقال د. غسان صباح النصار، بعنوان: "الأيام الخمسة البيضاء - الباروتايا"، منشور بمجلة اتحاد الجمعيات

لمندائية في المهر، عدد مارس سنة ٢٠٠٩ م.

(٢) راجع مقال الترميذا سلوان شاكر، عن "الأعياد المندائية".



## الخاتمة:

### تقييم الطائفة في ضوء الفكر الإسلامي

الإنسان من حيث هو إنسان - بغض النظر عن جنسه أو لغته أو عقيدته - مُكرَّم عند الله تعالى ومُفضَّل على كثير من المخلوقات؛ والقرآن الكريم يشير إلى ذلك، بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

وكما حفظت الشريعة الإسلامية الحقوق الفردية، ونصت على حرمة الاعتداء على النفس والمال والعرض والعقل والدين، حفظت أيضاً لكل طائفة عرقية كرامتها واستقلالها في العبادة والتشريع والموارد الاقتصادية ونظم الحياة الاجتماعية ونحو ذلك، ومنعت المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم وأخذ أموالهم بغير حق.. هذا على المستوى النظري.

أما على الصعيد العملي، فلم تعرف البشرية في عصر من عصورها حقاً من التسامح النقي بين الأديان وللذهب، كما عرفه العالم الإسلامي، وطبقة المسلمون في عصورهم الزاهية - وهذا ما شهد به المنصفون من علماء الغرب<sup>(٢)</sup> -؛ لدرجة أن الحلقات العلمية التي أقيمت في حضرة الخلفاء كانت تجمع العلماء على اختلاف عقائدهم، دون غصاضة أو إنكار أو محاولة لإثارة أية مشاكل طائفية. يقول "خلف بن المشي": "لقد شهدنا عشرة في البصرة يجتمعون في مجلس لا يعرف مثلهم في الدنيا علماً ونباهة؛ وهم: الخليل بن أحمد صاحب النحو (وهو سني)، والمحمري الشاعر (وهو شيعي)، وصالح بن عبد القدوس (وهو زنديق ثوري)، سفيان بن مجاشع (وهو خارجي صفي)، وبشار بن برد (وهو شعبي خليع ماجن)، وحسام بن عجرد (وهو زنديق شعبي)، وابن رأس الجالوت الشاعر (وهو يهودي)، وابن نظير المتكلم (وهو نصراني)، وعمر بن المؤيد (وهو مجوسي)، وابن سنان الخرائي الشاعر (وهو صابئي)؛ كانوا يجتمعون فيتاشدون الأشعار ويتناولون الأخبار، ويتحدثون في جو من الود لا تكاد تعرف منهم هذا الاختلاف الشديد في دياناتهم ومذاهبهم"<sup>(٣)</sup>!

(١) سورة الإسراء: آية ٧٠.

(٢) راجع ول ديورانت: قصة الحضارة "عصر الإيمان ١٣: ١٣٠ وما بعدها، ترجمة: محمد بدران، ط الحفيدة للصرة العامة للكتاب، ضمن مهرجان القراءة للجميع عام ٢٠٠١ م.

(٣) راجع د. مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا ص ٦٩، ط ١ سنة ١٩٩٨ م، دار السلام بالقاهرة.

والحق أن أخلاق التسامح التي سادت المجتمع الإسلامي ، مع المخالفين في العقيدة ، انطلقت من أساس فكري ؛ يتمثل في الاعتقاد بأن الله تعالى كرم بني آدم ، وأن اختلاف الناس في الدين هو أمر واقع بمشيئة الله تعالى بعدما منح عباده حرية الاختيار في الفعل والقول ، وأن المسلم ليس مكلفاً بحساب الكافر على كفره أو عقاب الضالين على ضلالهم في الدنيا ، بل هو مأمور فقط بالعدل ولو مع المشركين والدعوة لمكارم الأخلاق وبغض الظلم ولو كان من مسلم لكافر.. قال تعالى: ﴿لَا يَجْرِمُكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَى الْآخَرِ تَعْدِلُوا غَدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى..﴾<sup>(١)</sup>.

فلستور العلاقة مع غير المسلمين ، مستمد من قوله تعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(٢)</sup> إلماً ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهرُوا على إخراجكم أن قولهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون<sup>(٣)</sup> {٩}»<sup>(٤)</sup>.

وغير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، يربطهم بالمسلمين عقد يسمى "عقد الذمة" ؛ الذي يعني العهد والضمان والأمان والحق في أن يعيشوا في حماية الإسلام وفي كنف المجتمع الإسلامي آمينين مطمئنين ، بناء على ذلك العقد الذي هو أشبه ما يكون "بالجنسية" السياسية التي تعطيها الدولة لرعايها في هذا العصر ؛ فيكتسبون بها حقوق المواطنة ويلتزمون بواجباتها<sup>(٥)</sup>.

هذه المواطنة - أو الجنسية - كما تصدق على اليهود والنصارى في المجتمعات الإسلامية ، تصدق أيضاً على طائفة "المندائية" التي تعيش بين ظهرانينا ؛ فهم بالتعبير المعاصر من حاملي "الجنسية الإسلامية" - وإن كانوا غير مسلمين - التي تمنحهم حرية الاعتقاد والتعبد، من دون إكراه أو ضغط لإخراج أحد من دينه وإجباره على اعتناق الإسلام ، فحق الاعتقاد مكفول بنص القرآن الكريم : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة المائدة : من الآية ٨ .

(٢) سورة الممتحنة : ٨ ، ٩ .

(٣) راجع د.يوسف القرضاوي: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ٧ ، ط ٢ سنة ١٩٨٤م ، مكتبة وهبة . وراجع د.إبراهيم سليمان: معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام ص ٥٢ وما بعدها ، ط ١ سنة ١٩٩٤م .

(٤) سورة البقرة : من الآية ٢٥٦ .

وإن كنا لا نستطيع الجزم بأن المندائية هي الديانة "الصابنية" التي ذكرها القرآن الكريم ، إلا أننا أيضاً لا نستطيع إنكار أو تجاهل ما لديهم من بقايا آثار سماوية ، لكنها مشوبة بكثير من الخرافات أو الأساطير البابلية واليونانية .

والمندائية أيضاً ليست من بقايا الديانة "الخنفية" التي قامت في الجزيرة العربية منذ عهد "إبراهيم الخليل" وابنه "إسماعيل"؛ لأن الخنفية كما يقول أ. أنور الجندي : "قلّمت للعقل العربي حقائق أصيلة ، لم تُخرجها بعدها إلى الأساطير التي دأبت في المناطق التي تجمعت فيها الأساطير والخرافات والمُخرُ ، مما تكون في بابل واليونان ، وكان أساساً للفكر البشري الذي شكّل بعد ذلك الفلسفات اليونانية الهلينية في الغرب ، والغنوصية الغيبية في الشرق"<sup>(١)</sup>.

فالأساطير في مجموعها نتاج غريب على بيئة "التوحيد"؛ لأنها تقوم على تفسير بشري قاصر وغير حقيقي للأمور الغيبية وقضايا الخلق والحياة..

وعلى أية حال ، إذا كان المقصود من مصطلح "أهل الكتاب" هم اليهود والنصارى ، فإن المندائية يمكن أن تندرج تحت ما يُسمى "أشباه أهل الكتاب" ؛ لأنهم يدعون الإيمان بالله الأحد ، وباليوم الآخر ، ويدعون الانتساب لشيء من أنبياء الله المعروفين ، والعمل بكتاب من الكتب التي تحتوي على حقائق إلهية لا يُعهد مثلها إلا في كتب الأديان السماوية ؛ كالتوحيد والمعاد والملائكة ، وإطلاق الأسماء الحسنى والصفات العليا على الله تعالى ، ونسبة كل ما في الكون إليه ، ونحو ذلك .

وهذا في حد ذاته يجعل عموميات قتال المشركين لا تشملهم ؛ فلا يمكن أن يعاملوا معاملة مشركي العرب من عبدة الأوثان الذين وُجِلوا في جزيرة العرب على عهد النبي ﷺ ، وكانوا له مُعادين وللمسلمين مُحاربين .

أما المندائية ، فلم يكونوا متواجدين في جزيرة العرب آنذاك ، وإنما كان وجودهم في "ميسان" و"حرا" ؛ وكلا المكانين لم يُفتح في حركة الفتوحات الإسلامية إلا بعد وفاة النبي ﷺ .

وهذا ربما يؤيد وجهة النظر التي ترى أن المندائية من "أهل الكتاب" ؛ خاصة وأنه لم يُقل عن النبي ﷺ في شأنهم شيء يُذكر ، كما نُقِلَ في شأن "المجوس" — مثلاً — أن عمر بن الخطاب ذكّر له

(١) أنور الجندي: أخطاء المنهج الغربي الوافد ، ضمن الموسوعة الإسلامية العربية ٦ : ٣٢٤ ، ط ١ سنة ١٩٧٤ م ، دار

الجوس، فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف: "أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: سنواهم سنة أهل الكتاب"<sup>(١)</sup>.

فإذا لم يرذ عن النبي ﷺ في حقهم ما يجعلهم في عداد أهل الكتاب، ولا سبيل للقطع بأنهم ليسوا من أهل الكتاب، فلم يبق أماناً إلا ترجيح كونهم طائفة دينية لها شبهة كتاب سماوي.

ولو فرضت تبعيتهم لعدد من الأنبياء المعروفين لنا والذين أوتوا الكتاب، كنوح وإدريس ويحيى - عليهم جميعاً السلام - فلن يبقى هناك شك في أنهم من الذين أوتوا نصيباً من كتاب سماوي. وكتبهم المتدولة بينا ربما تحتوي على شذرات من ذلك الكتاب أو بقايا من صحف أولئك الأنبياء السابقين.

أما طقوسهم الدينية، فلا نعرف عنها إلا نزراً يسيراً مما ذكره بعض علماءهم في مقالات مضمونة. وبعض هذه الطقوس يلتقي بما لدى أتباع الديانات السماوية، وبعضها الآخر مشوب بأساطير ومعتقدات وثنية، إلا أن تلك الأساطير لا تخرج الديانة المندائية عن كونها ذات أصل سماوي، ولا تخلش حقوقهم الدينية والسياسية ماداموا ملتزمين بالقوانين العامة للمجتمعات التي يعيشون فيها. هذا، والله تعالى ولي التوفيق والسداد،

(١) انظر الإمام الشافعي (محمد بن إدريس ت ٢٠٤ هـ): كتاب الأم ٥ : ٤٠٨، تحقيق: رفعت بن فوزي عبد المطلب، ط ١ سنة ١٤٢٢ هـ دار الوفاء بالنصرة.

## قائمة المصادر والمراجع

(أسماء المؤلفين مرتبة ترتيباً أبجدياً بعد حذف التعريف والكنية)

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب السنة النبوية.

ثالثاً: المصادر والمراجع :

١- أحمد شلبي (الدكتور) : مقارنة الأديان - الجزء الرابع : أديان الهند الكبرى - ط ٦ سنة ١٩٨١م ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ، بالقاهرة .

٢- أنور الجندي (الأستاذ) : أخطاء للتهج الغربي الوغد - ضمن الموسوعة الإسلامية العربية - ط ١ سنة ١٩٧٤م ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

٣- إبراهيم سليمان عيسى (الدكتور) : معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام . ط ١ سنة ١٩٩٤م ، دار للنار بالقاهرة .

٤- إيثيل ستيفانا دراور (الليدي دراور ت ١٩٧٢م) : الصابون اللبنانيون . ترجمة : نعيم بلوي ، غضبان رومي ، ط ٢ سنة ١٩٨٧م ، مطبعة الديواني ، بغداد .

٥- إيثيل ستيفانا دراور (الليدي دراور ت ١٩٧٢م) : أسطورة الخلق في مرويّات الصابغة اللبنانية . إعداد وترجمة : محمد الحاج سالم ، آمنة جبلاوي ، دراسة منشورة في مجلة "الف" عدد ديسمبر ٢٠٠٩م ، دمشق سوريا .

٦- البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد ت ٤٤٠هـ) : الآثار الباقية عن القرون الخالية . ط دار النشر ، بغداد ، بدون تاريخ .

٧- ابن حزم (الإمام أبو محمد علي بن أحمد ت ٤٥٦هـ) : الفصل في الملل والأهواء والنحل . تحقيق : د. محمود إبراهيم نصر ، د. عبد الرحمن عميرة ، ط دار الجيل ، بيروت لبنان .

٨- حسن القناح قريب الله (الدكتور) : فلسفة وحلة الوجود . ط ١ سنة ١٩٩٧م ، الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة .

٩- ابن خلدون (العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي ت ٨٠٨هـ) : المقدمة . تحقيق : د.علي عبد الواحد وافي ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ضمن مهرجان القراءة للجميع عام ٢٠٠٥م .

١٠- سري العميلي : الزواج اللبناني - طفوس عنونها النهر - مقال منشور بمجلة الحوارات لثمتلدين الصادرة بالعراق ، عدد ( ٢٣٧٥ ) بتاريخ ١٦/٨/٢٠٠٨م .

- ١١\_ سلوان شاكرو ( الترميذا ) : شعائر ومفردات دينية ومعانيها . مقال منشور بمجلة اتحاد الجمعيات المندائية بالمهجر ، عدد ديسمبر ٢٠٠٨ م .
- ١٢\_ سلوان شاكرو ( الترميذا ) : الأعياد المندائية . مقال منشور بمجلة اتحاد الجمعيات المندائية بالمهجر ، كندا ، عام ٢٠٠٧ م .
- ١٣\_ سليم بونحي : الصابئة المندائيون . ط ١ سنة ١٩٩٧ م ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت لبنان .
- ١٤\_ سميع داود : التوحيد الصابئي للتدائي وعلاقته بالديانات الموحدة . مقال منشور بمجلة اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر ، كندا ، عدد مارس ، عام ٢٠٠٦ م .
- ١٥\_ السيد عبد الرزاق الحسيني : الصابئة قديماً وحديثاً . تقديم : أحمد زكي باشا ، ط ١ سنة ١٩٣١ م ، المطبعة الرحمانية بمصر .
- ١٦\_ السيد عبد الرزاق الحسيني : الصابئون في حاضرهم وماضيهم . ط ٤ سنة ١٣٩٠ هـ ، مطبعة العرفان ، لبنان .
- ١٧\_ الشهرزوري ( شمس الدين محمد بن محمود الإسراقي ت ٦٨٧ هـ ) : نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة . ط ١ سنة ١٩٩٨ م ، نشر جمعية الدعوة الإسلامية ، ليبيا .
- ١٨\_ الشهرستاني ( أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ ) : اللال والنحل . تحقيق : أمير علي مهنا ، علي حسن فاعور ، ط ٦ سنة ١٩٩٧ م ، دار للفرقة ، بيروت لبنان .
- ١٩\_ عباس محمود العقاد ( الأستاذ ) : إبراهيم أبو الأنبياء . ط ٧ سنة ٢٠٠٧ م ، دار نهضة مصر بالفعالة .
- ٢٠\_ عباس محمود العقاد ( الأستاذ ) : الله - كتاب في نشأة العقيدة الإلهية - ط ٨ ، دار المعارف بالقاهرة .
- ٢١\_ عباس محمود العقاد ( الأستاذ ) : حياة المسيح . ط دار نهضة مصر بالفعالة ضمن مشروع القراءة للجميع عام ٢٠٠٢ م .
- ٢٢\_ عبد المجيد سعدون الصباحي : أسماء الأعلام في كنزاًربا . رسالة ماجستير نوقشت عام ١٩٩٧ م ، بكلية الآداب ، لغات السامية ، جامعة بغداد .
- ٢٣\_ ابن العربي ( جورجوريوس بن أهرون ، المعروف بابن العربي ت ١٢٨٦ م ) : مختصر تاريخ الدول . تحقيق : أنطون صالحان اليسوعي ، ط سنة ١٩٩٤ م ، دار الرائد اللبناني .

- ٢٤\_ علي الطنطاوي ( الشيخ ) : تعريف عام بدين الإسلام . ط ٣ سنة ١٩٩٥ م ، دار البشر للثقافة والعلوم بطنطا ، مصر .
- ٢٥\_ علي ثويني معمار ( الدكتور ) : الجذر العراقي لأسماء الشهور والدهور . مقال منشور بمجلة اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر ، عام ٢٠٠٩ م ، باب "آراء" .
- ٢٦\_ غسان صباح النصار ( الدكتور ) : الأيام الخمسة البيضاء - البارونايا . مقال منشور بمجلة اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر ، مارس ٢٠٠٩ م .
- ٢٧\_ فاروق عبد الجبار عبد الإمام : النظافة الشخصية في الديانة المندائية . مقال منشور بمجلة اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر ، عام ٢٠٠٧ م .
- ٢٨\_ قيس مغشغش السعدي ( الدكتور ) : النخلة . مقال منشور بمجلة "آفاق مندائية" العدد ٤٥ ، السنة ١٤ ، نيسان ٢٠٠٩ م ، وهي تصدر عن المديرية العامة لأوقاف الصابئة المندائين بالعراق .
- ٢٩\_ قيس مغشغش السعدي ( الدكتور ) : معجم المفردات المندائية في العامية العراقية . ط سنة ٢٠٠٨ م ، العراق .
- ٣٠\_ كتاب كنز ربا . ترجمة الشاعر العراقي المندائي : عبد الرازق عبد الواحد ، ط للمؤلف ، بغداد .
- ٣١\_ ماجد فتدي : الزواج المندائي الشرعي وغير الشرعي بين النظرية والتطبيق . مقال منشور بمجلة اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر ، استراليا ، بتاريخ ١١ من فبراير ٢٠٠٩ م .
- ٣٢\_ مجلة الراصد الإسلامية . عدد (٢٢) ، ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ ، العراق .
- ٣٣\_ محمد عمر حمادة : تاريخ الصابئة المندائين . ط ١ سنة ١٩٩٢ م ، دار قتيبة ، سوريا .
- ٣٤\_ محمد فريد وجدي ( الأستاذ ) : دائرة معارف القرن العشرين . ط ٣ سنة ١٩٧١ م ، دار المعرفة ، بيروت لبنان .
- ٣٥\_ المسعودي ( علي بن الحسين ت ٣٤٥ هـ ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر . ط سنة ١٩٣٨ م ، القاهرة . وطبعة أخرى ١٢٨٣ هـ المطبعة العامرة ، مصر .
- ٣٦\_ المعجم الفلسفي . تصدير : د. إبراهيم مذكور ، ط سنة ١٩٧٩ م ، المطبعة الأميرية .

- ٣٧- ابن منظور ( أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١هـ ) : لسان العرب .  
تصحيح : أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي ، ط ١ سنة ١٩٩٦ م ،  
مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .
- ٣٨- موسوعة كنوز المعرفة . إشراف : د. إميل يعقوب ، ط ١ سنة ١٩٩٨ م .
- ٣٩- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . إشراف : د. مانع الجهنني ط ٢ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، بالرياض .
- ٤٠- ميشيل تارديو : صابنة القرآن وصابنة حران . ترجمة : سليمان حرفوش ، ط ١ سنة ١٩٩٩ م ، دار الحصاد بدمشق ، سوريا .
- ٤١- فاجية مراني : مفاهيم صابنية مندائية . ط سنة ١٩٨١ م ، بغداد .
- ٤٢- ابن النديم ( محمد بن إسحق ت ٣٨٥هـ ) : الفهرست . ط سنة ١٩٧٨ م ، دار المعرفة ، بيروت لبنان .
- ٤٣- ول ديورانت : قصة الحضارة - الجزء ١٣ عصر العلم - ترجمة : محمد بدران ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ضمن مشروع القراءة للجميع عام ٢٠٠١ م .
- ٤٤- يوحنا النشومي ( الترميذا ) : معاني بعض رموز المصبتا - أو التعميد المندائي - مقال منشور بمجلة اتحاد الجمعيات المندائية بالمهجر ، عام ٢٠٠٧ م .
- ٤٥- يوحنا النشومي ( الترميذا ) : محاضرة بمناسبة العيد الكبير للطائفة المندائية . ألقاها في ١٦/٧/٢٠٠٥ م ، بجمعية النادي الثقافي بسدني ، استراليا ، ونشرها مجلة اتحاد الجمعيات المندائية بالمهجر ، عام ٢٠٠٧ م .
- ٤٦- يوسف القرضاوي ( الدكتور ) : غير المسلمين في المجتمع الإسلامي . ط ٢ سنة ١٩٨٤ م ، مكتبة وهبة بالقاهرة .
- ٤٧- يوسف سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة . ط سنة ١٤١٠هـ ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، مدينة قم المقدسة .



## ABSTRACT ABOUT:

Sabeian Mandaean , An analytical study of its origins and religious beliefs .

This research, and analysis examines the range of "Mandaean" which claims to be the last bands Sabeian still far calls for "Monotheism". And that the teachings of "Gnosticism" that constitute the teachings of this community.

This research consists of an introduction, preface, and three sections, and a conclusion; as follows:

The first section dealt with it, the owners of the different articles about the reality of this band. And concluded that there is a big difference between "Mandaean Sabians" and "Sabeian Harrania"; as the first band may represent a well-known, and the other is only a band which practised Platonic teachings, and has nothing to do with the band mentioned in the Koran.

It also discussed the second topic Mandaean origins, and beliefs in the divinities, prophecy, angels and the other day, and an offer to the prophets of the community and their holy books .. And concluded that the beliefs marred by many of the myths that were prevalent in the Arab region.

And the third on, the sacraments of Mandaean; of prayer and fasting, charity and rituals of the purity and the marriage and personal status for members of the community.

Then came the conclusion, where the study of this community in the Islamic thought. And then doing is evaluated presenting bibliographic references and sources used in this study.